التربية الإسلامية

وقضايا المراهقة المسلمة

تأليف
نشوة علواني

دار الحافظ

قضايا المراهقة المسلمة

بقلم

نشوة العلواني

مراجعة

الدكتور محمد عمر الحاجي



هاتف: ٢٣١١٣٩١ - ص.ب.: ٢٧١٢٥

الطبعة الأولى

٢٠٠٠-٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنّه لأمر غريب، وظاهرة نوعية أن أكتب في مفهوم المراهقة في كنَفَ الإسلام ورعايته، ونظرته لهذه الفترة الحسّاسة من حياة أبنائنا، وكانت اليدّ الطولّى في مثل هذه المواضيع لعلم النفس والتربية.

لكنني أقولها بملء فمي إن علم النفس الإسلامي، والتربية الإسلامية فاقت كل العلوم وسبقت كل النظريات فلمّ لا يجمع الأحكام فيها التي تختصّ بمراهقة الفتاة، وندرس النظر الإسلامي فيها، وحكم القرآن والسنة النبوية. وهكذا كان

إنني وأنا أكتب أشعر أن كثيراً من الأحكام تسبقني، وأن قلمي يتعجل الدخول إلى صلب الموضوع، ليشرح ويفنّد ويظهر الجمال والخلق والتقوى في هذه الفترة، التي أجمع كل علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف الوالدان كيف يربيا الولد أو البنت وكيف ينتشلهما من أوحال الفساد، وبيئات الانحلال، وكيف يوجهّما التوجيه الأمثل، فعلى الأغلب سيكون النشء جيداً فاضلاً، يعرف الأدب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية.

والإسلام يأمر الأولياء أن يتخذوا التدابير الإيجابية، والأسباب الوقائيـة، في تجنيب الولد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية حتـى ينشـأ علـى الصـلاح، ويـتربى على الفضيلة، والخلق الفاضل ولقد كان صلى الله عليه وسلم يهتم في توجيه الولد المراهق، والبنت المراهقة في كل ما يصلحه خلقياً، ويضبطه غريزياً مخافة أن يقـع في الفتنة أو يتردى في الفساد الانحلال.

تلك هي القصة، قصتي مع هذا الكتاب، وهي لهذه الأسـباب جديـرة بـأن يُؤلف فيها كتاب، وأن نجمع لها الآيات والأحاديث، والأساليب التربوية الإسلامية والأحكام الفقهية حتى ننقذ أولادنا من كل حبائل الفاحشـة والفسـاد والانحـلال، ونأخذ بيده إلى حياة طاهرة شريفة ليس فيهـا عقـد ولا اعوجـاج ولا مشـكلات. أرجو من الله الصواب، والتوفيق والسداد، إنه سميع مجيب.

نشوة العلواني

الباب الأول

الفصل الأول: معنى المراهقة أو البلوغ عند الفقهاء وعند علماء التربية والنفس.

الفصل الثاني: التغيرات الجسدية والنفسية التي تصاحب طور البلوغ، وتأثيرها النفسي.

الفصل الثالث: المشكلات النفسية وعلاجها الإسلامي.

الفصل الرابع: الظواهر النفسية الخلقية وعلاجها الإسلامي.

الباب الأول

الفصل الأول

معنى المراهقة أو البلوغ

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين، سواء كانوا آباء أو أمهات أو معلمين مرشدين، تعليم البنت والولد الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي، ونضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً، ومسؤولين عن عملهما أمام الله عز وجل، وأمام المربين وأمام المجتمع.

لذا لا بد للأمّ من مصارحة الفتاة أو الصبي إذا بلغ سن المراهقة، وهو بالتحديد السن ما بين ١٢-١٥ سنة، بما سيحدث له أو لها وأنهما بذلك أصبحا

مكلفان شرعيان، يجب عليهما ما يجب للرجال والنساء من مسؤوليات وتكاليف. إلا أن ما يهمنا هنا مراهقة الأنثى وما تتميز بها من حساسية، واتجاهات تختلف عن الولد في هذه المرحلة.

تعريف البلوغ عند الفقهاء

البلوغ عند النساء يتميز بالدم الخارج من أقصىّ الرحم من غير ولادة ولا مرض، في سن معين، ولونه عادة: السواد وهو محتدم شديد الحرارة لذاع، محرق، وموجع، كريه الرائحة.

ووقته: بلوغ الأنثى تسع سنين تقريباً، فإن رأت الدم قبل هذه السن أو بعد سن اليأس وهو بلوغها الخمسين، فهو دمّ فساد أو نزيف، وتصبح الأنثى بالحيض بالغة مكلفة بجميع التكاليف الشرعية، من صلاة وصوم وحج ونحوها[1]، وهي ما تسمى بسنّ المراهقة.

وهي السنّ التي تعتبر أخطر وأهم المراحل في حياة الإنسان، فعلى نتائجها تتحدد معالم شخصيته المقبلة.

وليس على الأبوين معرفة ذلك وإن أدركه، فإن الفتاة تنزع إلى تصرفات نفسية وبيئية واجتماعية تنم عما يتفاعل في ذاتها، ويضطرم بين جوانحها.

وعلى الأبوين أن لا يتكلا أبداً على ما غرسه في وجدانه وعقله من أراء وسلوك رغم فائدتها لأن طور المراهقة مفصل من مفاصل العمر، ومفرق من مفارق مسيرة الحياة، خصوصاً وأن الطفل قد خرج إلى مباشرة المجتمع، وقد يقع تحت تأثيره

(١) الفقه الاسلامي وأدلته: ٦٠٤/١.

كليّة، فينجو في تصرفاته منحى يغيّبه تماماً عن مدخورات النفس والعقل مما أودعه الأبوان، وهنا تعظم المسؤولية، فمسؤولية الأسرة كبيرة وشاقّة، لا تقتصر على نطاق الحماية إزاء استمرارية الواقع الفاسد، وهي مهمة شاقة وعسيرة، تعاني منها الأسر الواعية لمسؤوليتها على ندرتها، في التربية أشدّ المعاناة، أما الأكثرية الساحقة فإن أبناءها الذين هم أبناؤنا فهم كالأيتام واللقطاء. في ضمن أسرٍ ضائعة مشتتة.

إن تربية الجنس البشريّ أصعب أنواع التربية، إنها أشبه ما تكون بمعادلة صعبة، ذات طرفين بينهما تباعد مثل ما بين السماء والأرض في أحد طرفيها طفل قد وُلد ضعيفاً عاجزاً غير مزودّ بشيء من السلوك الغريزي إلا البكاء والحركة العشوائية، ولكنه مجهز بأجهزة ووسائل مدهشة يمكنه إذا أحسن تموينها وإعدادها أن يتزود مع مرور الزمن وعلى المدى البعيد بكل ما يحتاج من الخبرات والقدرات.

وفي الطرف الآخر البيئة بأوسع معانيها وهو مستعد للتأثر بكل عواملها[1].

المراهقة في علم النفس

المراهقة هي تلك الفترة التي تمتد ما بين البلوغ والوصل إلى النضوج المؤدي إلى الإخصاب الجنسي، حيث ستصل الأقسام المختلفة للجهاز الجنسي إلى أقصاها في الكفاءة، وفي المراحل المختلفة لدورة الحياة، وفي الحقيقة سوف لا

(١) تربية الأولاد في الإسلام: ٩٨/١.

تكتمل مرحلة المراهقة إلا عندما تصبح جميع العمليات الضرورية للإخصاب والحمل والإفراز ناجحة[1].

كما عرفتّ المراهقة أيضاً:

هي حالة من النمو تقع بين الطفولة وبين الرجولة أو الأنوثة، وإن فترة العمر لا يمكن تحديدها بدقّة، لأنها تعتمد على السرعة الضرورية في النمو الجسمي وهي متفاوتة، بينما أن عملية النمو السيكولوجي ليست غير محددة فحسب، بل هي غامضة أيضاً، ومن غير السهل أن تقرر هذه المرحلة من حياة الإنسان حتى يصبح الفرد نامياً بصورة كلية، ومما لا ريب فيه إن هذا يحدث بعد العشرينات والواقع أن ضبط القياسات النفسية للمراهق صعبة جداً، وغير محددة وتختلف بين مراهق وآخر وبين البيئات والمجتمعات، إلا أن القياسات الجسمية أكثر ضبطاً ودقة بالنسبة للقياسات الأخرى، إلا أننا بحاجة لأن نعرف الكثير حول النواحي الأخرى من شخصية المراهق كالنواحي الاجتماعية والانفعالية والعقلية والخلقية والروحية، ومن الصعب أيضاً معرفة دوافع بعض الأنماط السلوكية للمراهقين.

والسبب الذي يحرص فيه علماء النفس على دراسة هذه الفترة بالتحديد والتركيز أنها فترة حرجة من حياة الإنسان.

---

(١) المراهق: د. نوري الحافظ: ص٢٢.

الفصل الثاني

والمراهقة

تبدأ بتميز النمو الجسمي وعندما يسير النمو سيره الطبيعي المتدرج والذي يتميز بالبطء نسبياً لا يجد الأباء والأمهات والمربون والمسؤولين عن تربية الأولاد في هذه المرحلة من حياتهم صعوبة في توجيه الأولاد والبنات وإرشادهم لكي يجتازوا هذه المرحلة بسلام إنما إذا كان النمو سريعاً، فهنا يتعرض المراهق والأهل إلى المتاعب، حيث تكون هذه الظاهرة سريعة بحيث أن معدلات سرعتها تختلف في سرعتها عن أقسام الجسم المختلفة[1].

وهذه الحالات كثيراً ما تسبب الإرباك والصعوبة في السيطرة على الجسم نتيجة لعدم التناسق في النمو، كما يؤدي إلى زيادة متاعب المراهق نفسه إذ كثيراً ما يبدو حجولاً معقود اللسان، أو منطوياً على نفسه محاولاً تحويل انتباه الناس عن نفسه.

وقد لوحظ أن البنات منذ السنوات الأولى للمراهقة يصبحن أكثر نضوجاً في عمرهن العظمي بالنسبة للأولاد وخاصة عند الولادة، وأن البنت تتقدم الولد سنة منذ الولادة وحتى الالتحاق في المدرسة، أما في مرحلة المراهقة فالبنت تتقدم الولد بسنتين في نمو العظام.

---

(١) المراهق: ص٥٠.

ولذلك تكون الفتاة أكثر نضوجاً من الناحية الجسمية وحتى بلوغها سن الخامسة عشر من العمر.

وقد لوحظ أن الفتاة الطويلة تكون أنضج من الناحية الجسمية، من الفتاة القصيرة.

وتبدأ الفتاة بفترة قصيرة قبل البلوغ تشعر بظهور أشعار في منطقة تحت الإبط والعانّة، وببعض البروز للصدر.

وذلك كله ناتج عن تغيير في بشرة الوجه، وفي عمل الغدة الدرقية إذ تتسع مساحات الجلد مما تسبب بعض المضايقات للحَدَثْ ويصحب ذلك اختلاف في نمو الشعر وكثافته وتوزعه في مناطق الذراع والساقين عند الولد، والإبط والعانّة عند الفتاة إلى جانب بدء نمو غدد الصدر والحوض، واتساع الغدة الدرقية عند البنات قد تسبب لهن عدم انتظام في العمليات التي تصاحب الاستقرار والمزاج العصبي، أو التبلد وعدم الإحساس، أو إلى التهيج والاستثارة كما يتغير الصوت عند الأولاد والبنات، وقد يكون لتغيير الصوت أثر ملموس في سلوك المراهق، وقد يتغير هذا الصوت بصورة مزعجة فيصبح صوتاً مرتفعاً يسبب كثيراً من الحساسية للمراهق.

وتزيد الفتاة عن الفتى، بأن تجويف الحوض ينمو بشكل كبير ويترسب الشحم في أنحاء جسم الفتاة أثناء البلوغ.

هذا الأمر قد يكون إيجابياً فيدفعها إلى الشعور بالفخر والاعتزاز أنها وصلت إلى مرحلة المرأة الناضجة، أو يكون سلبياً فيصيبها بالخجل والحياء، وربما إلى الخوف إذا كانت جاهلة بما سيحدث لها، وما ستكون عليه هيئتها في المستقبل

وهي في طريق النمو المطرّد وقد يكون الشحم كثيراً فيؤدي إلى سمنة مفرطة مما يسبب المضايقة والقلق والشعور بالنقص[1].

والطمث عند الفتاة هو بداية بلوغها فترة المراهقة، وإن كانت الهرمونات تبدأ بالإفرازات الأنثوية قبل عام ونصف العام من ظهور الطمث لأول مرة.

وتلقي الحيض لأول مرة ظاهرة انفعالية بالنسبة للفتاة، وتختلف كل واحدة عن الأخرى في نسبة احتمالها لآلام الطمث الجسمية التي تصاحب هذه الدورة، وقد قيل إن هذه الظاهرة ترتبط بقبول البنت أو رفضها لمكانتها ودورها في المجتمع.

وقد تعمد بعض الفتيات إلى حَنْي ظهورهنّ حتى لا يظهر بروز الصدر، خوفاً من نظرات أو تعليقات من الآخرين.

وقد تختلف البيئات في التعامل مع المراهقة فقط، فتجنبها الخروج أو اللعب، أو ممارسة أي نشاط باعتبار أنها نضجت، وأن حياتها أصبحت للبيت فقط.

إلا إنني أقول:

إن هذا الأمر هو تغيير طبيعي، حباك الله به يا ابنتي وقد حدث لنساء الأرض قبلك، لتكوني على مرّ الأيام محطّ الأنظار، وبهجة النفوس، وأمل المستقبل، ولتؤسسي أفضل عمل، ينظر إليه الله تعالى بالرضا، ألا وهو تأسيس أسرة، ودورك الكبير فيه ألا وهو دور الأمّ التي تعرف واجباتها، وتسير بخطى هادئة ثابتة في أداء واجباتها تجاه ربها. فلا تخجلي يا ابنتي مما هو من صنع الله، ومن سنن الكون والطبيعة.

---

(١) المراهق: ٥٥-٦١.

الظروف النفسية للمراهق

تتجلى الظروف النفسية للمراهق بالانفعالات العاصفة التي يصل فيه الفتى أو الفتاة إلى مرحلة مدّ الحياة وجزرها، وتقلباتها الكثيرة التي لا تستقر على حال، كأنه يخفي مشاعره مرة، أو يظهرها بشكل مقنع، أو يتجاهلها، أو يقف منها موقف عدم الاكتراث واللا مبالاة في كثير من الأحيان، وقد تكون هذه الانفعالات المكشوفة غطاء لانفعالات مستورة، وقد يحدو به الأمر لأكثر من ذلك فيقطع صلته بالآخرين، ويبتعد عنهم قدر الإمكان، وفي أكثر الأحيان فالمراهق لا يدرك حقيقة مشاعره أو مضمونها، وكثيراً ما تكون طلباتهم ملحّة وتثير الانفعال المعكرّ لصفوّ الحياة وبهجتها.

أهم ميزة في حياة المراهقين هي استعدادهم لحب الآخرين من جهة وحاجتهم إلى الحب والحنان من جهة أخرى، وهذا الحب مرتبط بالحب الذي أحاطه الأبوين له، وهو الذي منحنه فيما مضى قوة الشفاء والتغلب على الصعاب والمشاكل، ولولا حب الأبوين لمات الطفل أو خرج مهلهلاً منبوذاً، فالحبّ حركة خلاّقة في حياة الفرد وهو ذو قوة تكاملية إبداعية في حياة الفرد، وحياة الجماعة، وبالحب تتكون الصورة الحيوية الممتازة للعلاقات الإنسانية.

والحب والحنان هما اللذان يجعلان الفتى أو الفتاة أكثر قدرة على مواجهة متطلبات الحياة خارج منزله.

وفقدان الحب عند المراهق تجعله يشعر بالتفاهم والظلم، والحساسية إزاء النقد أو التأنيب[1].

مشكلة الفراغ

إن أكبر مشكلة تواجه المراهق هي مشكلة الفراغ الهائل الذي يجده، والتي قد يقضيها مع زملاء الشارع، أو الذهاب إلى السينما، أو الاستماع إلى برامج تلفزيونية أو اللعب بألعاب الكومبيوتر.

أما إحساس الفتاة بالفراغ فأكبر وأعقد إذ الفتاة تمنع من الخروج عموماً إلا ما ندر، وقد يحرم عليها الخروج بتاتاً فتشعر بالسأم والملل ويذهب عنها الفرح والاستمتاع بأي شيء سواء كان المدرسة أو الزملاء، أو البيت، والذي يشعر بالسأم لفترات طويلة هو إنسان يتغض لأتفه الأسباب.

وقد يستثار الفتى والفتاة من كثرة شعوره بالسأم لطلبات والديه فينفجر غاضباً، وهم سيوجهون غضبهم تجاه والديهم سواء كان بالكلام أو بغيره. أو يفجر ذلك إحساسه بالظلم والإجحاف والتمييز، واتهام الوالدين بعدم المحبة، وعدم التفاهم، وأنهم لا يصلون إلى عقلهم ويتعرفوا إلى مداركهم[2].

(١) المراهق: ص١٢٧.

(٢) المرجع نفسه: ٩٩- ١٠٧.

مشكلة الصداقة والمعارف

يتهالك المراهقون إلى الصداقة والأصدقاء، ويحب الشاب والفتاة أن يحتفظان بعلاقة نقيّة مع من هم في مثل سنّه، وتكون هذه النزّعة لديه قوية، فالصداقة الحميمة المتميزة بالإخلاص تبرز بشكل تجعلهم فيه قادرين على التضحيّة من أجلها، وأحياناً من أجل الأصدقاء يتجاهلون الأباء والمربين وتستمر هذه الحالة لديهم إلى أن تتراكم عندهم التجارب والانعكاسات، وفي نهاية هذه المرحلة تتخذ الصداقة والعداوة لون جديد قائم على أساس الفعل لا العاطفة هذه العلاقات نفسها يمكن أن تؤدي بهم إلى اختيار الصحيح وقد تنتهي إلى العداء والخصومة[1].

المراهقة والجنس

ولعلّ البحث في هذا الموضوع يعتبر جديداً على المجتمع، فالجنس ينظر إليه بكثير من الحساسية والخوف، لكن إعطاء المراهق بعض المعلومات التي لا تثيره وتعرّفه بما يحصل في جسده وتكوينه، يبعده عن سؤال غيره من الأصحاب الذين يروون قصصاً خيالية في هذا الموضوع،وقد يغرونه بالفاحشة أو العادّة السريّة. لذلك كان الإرشاد إلى أصول الاتصال الجنسي، أو كيفية التعامل في هذه الفترة مع الجسد بالنظافة والرعاية، وخاصة إذا دخلت الفتاة عتبة الزواج في هذه المرحلة.

فكثيراً ما يعمد الفتى أو الفتاة إذا لم يكن هناك رقابة من الأهل إلى اكتشاف ما يحصل وراء الجدران والستر، فهي بالنسبة إليهم مجهولة تحتاج إلى اكتشاف، فيعمد إلى دور السينما، أو إلى القصص المصورّة الخلاعية، أو المجلات

(١) تربية الشباب: د. علي القائمي: ص١٣٣.

الماجنة العارية، أو قصص الحبّ والغرام الملتهب، أو الروايات على شاشة التلفزيون وهي بجملتها ومضمونها تهيّج بالغرائز، وتشجع على الانحراف والإجرام، وهي تفسد أخلاق الكبار، فكيف بالمراهقين والأطفال الصغار[1]؟

ومن المعلوم بداهة أن الولد حين يعقل تنطبع في ذهنه هذه الصور، وتتأصل في مخيلته هذه المشاهد، فيعمد حتماً إلى محاكاتها وتقليدها، وليس أضرّ على الولد المراهق من مشاهد تشجع على الإجرام، وتوجه نحو الرذيلة والفساد، ولا سيما إذا كان مفلوت الزمام، متروك الرقابة والرعاية، ودور الأباء والأمهات بمنعهم من شراء هذه المجلات الخلاعية، ومراقبة ما يقرأ الولد والفتاة، فقصص الحب الخيالي المريض، يجعلها تسرح في أحلام ليست من الواقع بشيء، وقد يؤدي بها إلى تمثيل هذا الدور باعتبارها فارسته.

وهذا ضررٌ وفساد، وجب على الأهل معالجته إذ «**لا ضرر ولا ضرار**»[2]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «**الرجل راع في بيت أهله ومسؤول عن رعيته**»[3]، ولقول الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم: ٦]

هذه مجمل الصفات والتغييرات الجسدية والنفسية للمراهق والمراهقة وسأعمل جاهدة حتى نرى ميزة الإسلام في حلّ هذه المشكلات وإخراج جيل سليم معافى صحيح البنية والعقل والاتجاه والفكر مقبل على الحياة بشكل سليم.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام: ١٢٩/١

(٢) تلخيص الحبير: ١٦٤/٨.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٦٠).

الفصل الثالث

معالجة الإسلام لهذه المشكلات النفسية:

ينظر الإسلام إلى الشباب على أساس أنهم أملّ المستقبل، واليد العاملة المنتجة التي سيقوم عليها دعائم المجتمع المسلم.

والمشكلات النفسية كثيرة ومعقدة منها ما يختص بالمجتمع ومنها ما يختص بالأسرة، ومنها ما يختص بالمراهق.

– فالفقر في المجتمع يؤدي إلى الجهد والحرمان، وحين لا يجد الفتى أو الفتاة ما يكفيه من غذاء وكساء، فإنه سيلجأ إلى طرق ملتوية بحثاً عن الرزق فتتلقفه أيدي السوء والجريمة، وتحيط به هالة الشرّ والانحراف، فينشأ في المجتمع مجرماً أو منحرفاً، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض، والإسلام بتشريعه العادل قد وضع الأسس الكفيلة لمحاربة الفقر، وقرر حق الحياة الكريمة لكل إنسان، ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحدّ الأدنى من مسكن ومطعم وكساء، ورسم للمجتمع المسلم مناهج عمليّة للقضاء على الفقر نهائياً، كتأمين سبل العمل لكل مواطن وإعطاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز عن العمل، وسنّ قوانين للتعويض العائلي لكل أبٍ له أسرة وأولاد، ورعاية اليتامى والأرامل والشيوخ، بشكل يحفظ لهم كرامتهم الإنسانية، ويحقق لهم العيش الأفضل وهذه الوسائل إن تحققت، ومرّت بمراحل التطبيق والتنفيذ زال في المجتمع أهم

أسباب الجريمة والتشرد والضياع، وقضي نهائياً على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان[1].

وفي حال فقر الزوج، وعدم قدرته على النفقة، يتعين على الدولة أن ترعى هؤلاء الأطفال بالنفقة، وتمدّهم بكل ما يحتاجون إليه من أسباب مادّية لتعليمهم والإنفاق عليهم إلى أن يكبروا ويشبوّا، وبذلك تمنع أسباب شقاوتهم وانحرافهم.

لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من كان معه فضل ظهر فليَعُد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليَعُد به على من لا زاد له**»[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**ما أمنّ بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به**»[3].

- الفراغ الذي يتحكم بالمراهق

وأخص بالذكر هنا المراهقة، فإن فرصتها في الخروج من البيت ضئيلة بعد بلوغها، ويحرص الأهل كثيراً في دخولها وخروجها وصحبتها خوفاً عليها، وهو حرص جيد لكن يجب ألا يزيد عن حدوده فيؤدي إلى الانفجار، وإلى اختلاق الأسباب للخروج بالكذب والمراوغة، ويجب أيضاً ألا يترك بدون رقابة، فيسهل عليها الخروج وتتمرد على أوامر الأهل، وتتوسع دائرة الصداقات حتى تقع بالمحظور، أو تهرب مع فتى، أو تسلم نفسها لمن يدعي الحب ويزينه لها.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام: ١/١١٣.

(٢) رواه مسلم: ٢٧٥ (١٧٢٨) كتاب اللقطة.

(٣) مسلم: ٢٧٦ (١٧٢٩).

ومعلوم أن المراهقة هو سنّ الولع باللعب، والميل إلى المغامرة، وحبّ للفسحة والتمتع بالمنظر الطبيعية فنراه في حركة دائمة في اللعب وفي الركض والتسلق، وممارسة الرياضة.

إما الفتاة فتميل إلى أعمال البيت وترتيبه واستقبال الضيوف وإعداد الأسرّة باللعب، وإلى تبديل الثياب، أو قصّات الشعر، والمكياج وغيره.

وواجب الأهل تيسير أماكن اللعب واللهو البريء، والنوادي الصالحة للرياضة وإعداد القوة، ومسابح التدريب والتعليم، ونزاهات النشاط والحيوية، لأن تركهم بدون هذه الأمور سيؤدي إلى اختلاطهم بقرناء السوء، ورفقاء الشر والفساد، مما سيؤدي حتماً إلى فسادهم والإسلام عالج مشكلة الفراغ عند المراهقين.

فالعبادة بالصلاة لها فوائد جسيمة من تحرك الدورة الدموية وتنشيط العضلات والمفاصل. والنظافة الإجبارية التي تسبقها بالوضوء والأمر بتنظيف البشرة وغسل الشعر، ونظافة الجسد بعد الحيض والاغتسال. والاستحداد مما سنفرد له باباً في الأحكام، والتدريب على المشي مع الوالدين، أو مع الأمّ بالنسبة للفتاة المراهقة يعطيها فائدة كبيرة، لعدم الإصابة بأمراض المعدة وعسر الهضم وغيرها من الأسقام.

أما بالنسبة للولد فإن خروجه مع والده إلى المساجد في اليوم والليلة تنشيط للبدن ومطردة للخمول والكسل.

وإشغال الفتى بتعليم فنون القتال، والفروسية، والسباحة، والقفز والمصارعة.

وتعليم المراهقة الفروسية والسباحة والقفز بمعزل عن الرجال فإن لم يتيسر لها ذلك ففي المطالعة الهادفة، والنزهة البريئة والمشي المباح، والرياضة المتنوعة، والزيارات الصالحة مع الأهل، والمكتبات العامة، والمسابح الصحية الملائمة بشرط أن تكون متوافقة مع أحكام الإسلام وآدابه السامية.

وفي ديننا فسحةٌ وأيّ فسحة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل**»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا**»[2].

ولو أخذ الأهل بهذه التوجيهات الإسلامية، لأكسبوا أولادهم صحّة وعلماً وقوة، ولحالوا بينهم وبين تفلتهم وتشردهم وانحرافهم، ولملأوا فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنيهم وأخرتهم، ولأعدّوهم ليكونوا جيل الإسلام، ودعاته الراشدين، وأمهاته الصالحات.

جـ- الخلطة ورفاق السوء

لا ريب أن تأثير الرفقة السيئة على الولد كبير، خاصّة إذا كان الولد بليد الذكاء، ضعيف العقيدة، متميع الخلق، سرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار، ويكتسب أقبح وأحطّ العادات والأخلاق، ويصعب ردّه إلى جادةّ الصواب.

والإسلام بتعاليمه التربوية، وجّه الأباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة، خاصّة في سن المراهقة ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون، كما يجب

(١) المعجم الكبير: الطبراني: ١٩/١٧.

(٢) المعجم الكبير: الطبراني: ٩٤١/١٧.

توضيح أثر الرفقة السيئة على البنات والأولاد، ومجتمعنا مليء بالقصص المعبرة والمشاكل التي لا تنتهي.

لقوله صلى الله عليه وسلم: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إياك وقرين السوء، فإنك به تُعرف**»(٢).

وقوله تعالى: ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً(٢٩)**﴾ [الفرقان: ٢٧-٣٠].

د- سوء معاملة الأبوين للمراهق

من الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء التربية أن الولد إذا عُومل من قبل أبويه بتربية قاسية بالضرب أو التوبيخ. وكان دائم التحقير والإزدراء، والتشهير والسخرّية، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله. وقد يؤول به الأمر إلى مقاتلة أبويه أو ترك البيت نهائياً تخلصاً مما يعانيه من القوة الظالمة بهذه المعاملة الأليمة، وقد جعل الإسلام في عنق الأباء مسؤولية التوجيه والتربية، والملاطفة الرضية، والمعاملة الرحيمة، حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة، ويتربوا على استقلال الشخصية، وحتى يشعروا أنهم ذوو

(١) مستدرك الحاكم: ٤/١٧١.

(٢) المسند للإمام أحمد: ٥/٤١٦.

تقدير واحترام وكرامة. لما قال عليه الصلاة والسلام: **«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: **«إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خلْقاً أحسن منه وإن العنف لو كان خلْقاً لما رأى الناس خلْقاً أقبح منه»**(٢).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«رحم الله والداً أعان ولده على برّه»**(٣).

تكلم أهمّ التوجيهات الإسلامية في لين الجانب، وحسن القول، وفضيلة المعاملة، فما على الأباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها، وينفذّوا ما جاء فيها، ويعملوا بمقتضاها إن أرادوا لأولادهم الحياة الفاضلة والاستقامة الدائمة، والخلق الاجتماعي النبيل.

أما سلوك المعاملة الفظّة القاسية، والطرق الملتوية، والعقوبة الشديدة فيكونون قد جنوا على أبنائهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة، والتوجيه الملتوي الذميم، بل سيرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم بذور هذا الانحراف أو التمرد.

---

(١) صحيح البخاري: ١٤/٨.

(٢) مسند أحمد: ٧١/٦.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٧٦/٤.

يروى أن رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين.

قال عمر: أن ينتقي أمّه، ويحسن اسمه، ويعلمّه الكتاب أي القرآن.

فقال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمّي فإنها زنجيّة كانت لمجوسي، وقد سماني جُعَلا (أي خنفساء)، و لم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً.

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إليّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقّك، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك[1].

وهكذا حملّ عمر الرجل مسؤولية عقوق ولده له حين أهمل تربيته، ومما تذكر كتب السيرّة أن معاوية بن أبي سفيان غضب على ابنه يزيد مرّة، فأرسل إلى الأحنف بن قيس ليسأله عن رأيه في البنين فقال: "هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فإنهم يمنحونك ودهمّ، ويحبونك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلا، فيملّوا حياتك، ويتمنوا وفاتك". والله سبحانه وتعالى يرشد إلى اللين بقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

---

(١) للتوسع يراجع: صفة الصفوة لابن الجوزي: ١٤٧/٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ٥٩

وفي هذين الخبرين العظّة والعبرة في الملاطفة لأولادهم، وحسن المعاملة لهم، والرفق بهم، واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيهم[1].

هـ- تخلي الأبوين عن تربية المراهق

وهي من العوامل الكبرى التي تؤدي إلى فساد خلق المراهق، وانحلال شخصيته بسبب انشغال الأبّ عن إصلاح نفسه، فكيف يُصلح ابنه؟ أو انشغال الأم بسهراتها وصويحباتها، وترك المراهق في البيت لا يدري ماذا يصنع أو أين يذهب إلى أن يجد طريقاً للانحراف يهرب به من غربة البيت وضياع الأهل.

ولا شك أن الأمّ مسؤولةٌ كما يُسأل الأبّ، عن سبب نشأة اليتامى وعيشة التشرد، وأداة الإجرام التي سببوها لأولادهم.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**أدبوا أولادكم، وأحسنوا أدبهم**»[2].

وقوله أيضاً: «**علمّوا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم**»[3].

«**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبٍّ آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظله**» وقد أكدّ الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من وصية، وفي أكثر من أمر ضرورة العناية بالمراهقين، ووجوب القيام بأمرهم، والاهتمام بتربيتهم والمراهق أمانة عند الوالدين، «**فأبواه يهودانه، أو يمجسانه، أو ينصرانه**»[4].

---

(١) تربية الأولاد في الاسلام: ١٢٦/١.

(٢) كشف الخفا: ٧٥/١.

(٣) سنن البيهقي: ٢٢٩/٢.

(٤) من حديث : ((كل مولود يولد على الفطرة)) البخاري: ١٢٥/٢.

فالأب الذي يدفع بأولاده إلى المـدارس الأجنبيـة، والمعـاهد التبشـيرية مـن أجل اكتساب اللغة، وضياع الدين.

والأب الـذي يسـيء اختيـار المربـي، فقـد يكـون المربـي فاسـداً يـزرع في المراهق بذور الإلحاد والضلال.

والأب الذي يرخي العنان على غاربه، ليخالط من رفقـاء الزيـغ والضـلال ما يرغب، وينشأ على مبادئ إلحاديّة لا دينية سيكون حرباً على المقدسات والقيّـم والأخلاق.

الفصل الخامس

الظواهر النفسية للمراهق وكيفية معالجتها

الخجل - الخوف - الغضب - الحسد - الرياء.

الخجل

الخجل ظاهرة طبيعية في الإنسان، وللبيئة أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله، فإنّ المراهق الذي يخالط غيره، ويجتمع بهم يكون أقل خجلاً من المراهقين الذين لا يخالطون ولا يجتمعون.

والمعالجة لا تتم إلا بتعويد المراهق على الاجتماع بالناس سواء جلب الأصدقاء إلى المنزل، أو مرافقة الأباء في زيارة الأصدقاء.

والمراهقة في هذا الأمر أكثرُ حساسية، لأن الخجل مما تُوصف به الفتاة ويُعرف أدبها بحيائها، ولذلك كانوا يسمونها "بذات الخدور" لأن انفلات المراهقة يكسر خجلها، وخاصة إذا تعودت أن تكلم الشباب أو تتعامل معهم بدون حدود.

أما الخجل المربك فنستطيع أن نعالجه بما قدمنا سابقاً، وبتحضير القصص والأسئلة والأجوبة أمام صويحباتها، أو بالمسابقات التي تعقدها الأمّ لتعويد المراهقة على النطق السليم والمواجهة السليمة المدعومة بالخلق الديني والاتجاه الإيماني.

روى البخاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله ما هي؟ قال: النخلة**». وفي رواية، فأردت أن أقول "**هي النخلة**" فإذا أنا أصغر القوم فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبّ إلي من أن يكون لي حُمرُ النعّم[1].

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ مسنين، فقال الرسول للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟

فقال الغلام: لا والله. لا أوثر بنصيبي منك أحداً.

-ومرّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في طريق من طرق المدينة، وأطفال هناك يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير وهو غلام يلعب، فهرب الأطفال هيبةً من عمر، ووقف ابن الزبير ساكناً لم يهرب.

فقال له عمر: لَمَ لم تهرب مع الصبيان؟

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٧/١٣.

فقال: لست جانياً فأفِرّ منك، وليس في الطريق ضيق فأوسعَ لك، وهو جواب سديد جريء.

- ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ولداً له في يوم عيد، وعليه ثوب قديم، فدمعت عيناه، فرآه ولده، فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: يا بني أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان بهذا الثوب الخَلِقْ.

قال يا أمير المؤمنين: إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عقّ أمّه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك.

- ودخل على عمر بن عبد العزيز في أول خلافته وفود المهنئين من كل جهة فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلامٌ صغير، لم تبلغ سنّه إحدى عشر سنة فقال له عمر: ارجع أنت، وليتقدم من هو أسنّ منك.

فقال الغلام: أيدّ الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسنّ لكان في الأمة من هو أحقّ منك بمجلسك هذا.

- ودخل المأمون مرة بيت الديوان، فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم فقال له: من أنت؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، أنا الحسن بن رجاء.

فعجب المأمون من حسن إجابته، وقال: بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته.

هذا كله يدعونا للقول إن ظاهرة الجرأة الأدبية تنميّ في المراهق أنبل معاني الفهم والوعي، وتساعدهم على التدرج في مدارج الكمال وتكوين الشخصية، والنضج الفكري والاجتماعي. وعلينا أن نميزّ بين الحياء والخجل.

فالخجل: هو انكماش المراهق وانطواؤه، وتجافيه عن ملاقاة الآخرين.

أما الحياء: فهو التزام المراهق مناهج الفضيلة وآداب الإسلام

فليس من الخجل في شيء حين نعودّ المراهق على توقير الكبير، وغضّ البصر عن المحرمات، وكفّ الأذى على ستراق السمع سرّاً، أو أن تكتشف خبئاً، أو تفتح حقيبة بدون إذن صاحبها.

وهذا الحياء هو الذي أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال: «**استحيوا من الله حقّ الحياء. قلنا: إنا نستحي من الله يا رسول الله قال: ليس ذلك الاستحياء، من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة، وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»[1].

وروي عن الإمام مالك قوله: «**إن لكل دين خلقاً، وخلقُ الإسلام الحياء**» وإذا لم تكن الجرأة ضمن حدود الأدب والاحترام، ومراعاة شعور الآخرين، وإنزال الناس منازلهم، وإلا فإن الجرأة ستنقلب إلى وقاحة، والصراحة إلى قلةّ أدب مع الآخرين.

(١) مستدرك الحاكم. ٣٢٣/٤.

ظاهرة الخوف

الخوف حالة نفسيّة تعتري الكبار والصغار معاً، والذكور والإناث وقد تكون مستحبّة إذا كانت ضمن الحدود الطبيعية لدى الأطفال، لأنها تكون وسيلة في حماية المراهق من الحوادث، وتجنّبه كثيراً من الأخطار، إلا أن ازدياده يسبب في المراهقين قلقاً نفسياً يجب معالجته، وبوجه عام فإن الإناث أكثر إظهاراً للخوف من الذكور كما تختلف هذه الدرجة تبعاً لشدة تخيّل المراهق، فكلما كان المراهق أكثر تخيّلاً كان أكثر تخوفا[1]. وللخوف أسباب. كثيرة منها تخويف الأم لطفلها بالأشباح والمخلوقات الغريبة في الظلام، أو دلالها المفرط، وقلقها الزائد، وتحسسها الشديد. أو تربية الولد على العزلة والإنطوائية والاحتماء بجدران المنزل، أو سردها للقصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت.

ولا ريب فيه أن الطفل إذا تربى على العادات الإيمانية، والمعاني التي تقوي الثقة با لله، والتعويد على الصلاة والصوم، فلا يخاف إذا اُبتلي، ولا يهلع إذا أُصيب وإلى هذا أرشد القرآن.

﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩)إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(٢١)إِلَّا الْمُصَلِّينَ(٢٢)الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ(٢٣)﴾
[المعارج: ٢٣]

والمراهق إذا ربيّ على الثقة بالنفس يتحرر من شبح الخوف، وينشأ على الشجاعة والإقدام، والخلطة بالآخرين تقوي ثقته بنفسه وبقدراته.

---

(١) المشكلات السلوكية عند الأطفال: نبيه الغبرة ص١٥٠.

وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن آلف مألوف، لا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس**»(١).

وتعليمهم مآثر الصحابة والمغازي والجهاد، كما في خبر أسماء بنت أبي بكر التي كانت تأخذ الطعام ليلاً للرسول صلى الله عليه وسلم وأبيها وهما مختبئان في شعب مكة متوجهان إلى المدينة حتى سميّت "بذات النطاقين" ولقد قال سعد بن أبي وقاص: "كنا نعلمّ أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمّهم السورة من القرآن"(٢).

ولا شك أن التربية الإيمانية بقوله صلى الله عليه وسلم: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيكم، وحبّ آل بيته، وتلاوة القرآن**»(٣).

ما هي إلا برهان قاطع على اهتمام الإسلام بتربية المراهقين على الشجاعة، وحثّهم على عدم الخوف ليكونوا في المستقبل جيل الإسلام الصاعد في إشادة صرح الإسلام المنيع.

ولقد كان عبد الله بن أبي بكر غلاماً مراهقاً حين كان يتلفظ أخبار قريش ثم ينسحب ليلاً إلى غار ثور، مكان مخبأ الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيه في طريقهما إلى المدينة، فيجلس عندهما قليلاً ويأتيهما بالأخبار ثم يخرج من عندهما بالسَحَر، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائماً.

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٤٠٠.

(٢) المشكلات: نبيه الغبرة: ص١٥٢.

(٣) سبق تخريجه، سنن البيهقي: ٢/ ٢٢٩.

وأخرج ابن أبي شيبة أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أُحد السيف فلم يقوَ على حمله، فشدته على ساعده بسَيْرٍ مضفور، ثم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أي بني، احمل هاهنا، أي بني احمل هاهنا، فأصابته جراحة، فصُرِع. فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أي بنيّ لعلك جزعت؟! قال الولد: لا يا رسول الله**».

وروى سعد بن أبي وقاص عن قصة أخيه عمير، فكان يتوارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصفّ المقاتلين خيفة أن يراه، فيردّه لصغر سنه، فلما عُرض على رسول الله ردّه، فبكى، فأجازه.

قال سعد: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة.

وما هذه البطولة النادرة، والشجاعة الفائقة، والجهاد الجريء، إلا بفضل التربية القويمة التي تلقوها من مدرسة النبوة، والبيت المسلم، والمجتمع المؤمن المجاهد الشجاع.

ظاهرة الشعور بالنقص

وأسبابها الخلقية والمرضية، أو العوامل التربوية أو الظروف الاقتصادية من هذه الأسباب التحقير والإهانة، والدلال المفرط، والمفاضلة بين الأولاد.

أما عامل التحقير والإهانة: وهي عادة معروفة بين الأباء والأمهات فينعُت الكذاب إذا أخطأ من أول مرة، أو الشرير إذا ضرب أخته أو أخاه، وتصبح هذه النعوت تلازمه كلما اقترف ذنباً أو ارتكب خطأً.

والمناداة بالكلمات النابية أمام أصدقاء المراهق والمراهقة، أو تجريح المراهقة بكسلها أمام الصديقات والجارات، كل هذا يولّد في نفسه العقد النفسية التي تدفعه إلى أن ينظر إلى الآخرين نظرة حقد وكراهية، وأن ينطوي على نفسه فاراً من أبناء الحياة منهزماً من تكاليفها ومسؤولياتها[1].

ومن طرائف ما ذكر أن أباً عيرّ ولده يوماً بأمّه، وقال له: أتخالفني وأنت ابن أمّة؟ فقال الولد لأبيه: إن أميّ والله خير منك يا أبي قال الأب: لمّ؟

قال الولد: لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حرّ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمّة.

والمعالجة في ارتكاب الذنب لا يصلح بالحالات الغضبية، والطريقة التعنيفية، لكي لا يصبح الولد منطبعاً على لغة السبّ والشتائم.

والمعالجة الصحيحة في الإسلام أن ننبهه على خطئه برفق ولين. ونثقفه بالحجج الدامغة، وإن الإنسان العاقل ذو الفهم والبصيرة لا يتصرف بمثل هذا التصرف، فإذا لم تجدّ نفعاً انتقلنا إلى التربية بالعقوبة، وبمثل هذه التربية الهادفة الرصينة تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمثال هؤلاء[2].

فقد روي أن شابّاً أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنى، فصاح الناس به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**قربوه ادن... فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتحبه لأمكّ؟ قال: لا جعلني الله فداك، قال رسول الله: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم،**

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية: د. مصطفى السباعي: ص١٥٩.

(٢) المصدر السابق: ص١٦٠.

أتحبه لابنتك؟ قال: لا جعلني ا لله فداك. قال الرسول: كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟ قال: لا جعلني ا لله فداك. قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، فوضع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يده على صدره وقال: «اللهم طهرّ قلبه، واغفر ذنبه، وحصّن فرجه». فقام من بين يدي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وليس شيء أبغض عليه من الزنى»[1].

وروى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلّمي رضي ا لله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك ا لله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمي، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من صلاته دعاني، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوا لله ما كرهني (عنفني) ولا ضربني، ولا شتمني، لكن قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**[2].

الدلال المفرط وعلاجه

والدلال المفرط يؤدي بالمراهق إلى الميوّعة، والتخلف عن الأقران، وضعف الثقة بالنفس، لأن الناس يتقدمون، وهو في ذيل القافلة يرى الناس في حركة ومجاهدة، وهو في صمت وسكون.

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٥١/٧.

(٢) صحيح مسلم: الصلاة: ٣٨١.

إن دلال الأمّ للمراهق هي نوع من الرعاية الفاسدة يدفعها إلى أن يجعل الولد أو البنت في أحضانها لا يخرجان عن حدودها، وهي ظاهرة خطيرة ومنتشرة بشكل كبير بين المراهقين ومن مظاهرها التربية الخاطئة بأن لا تدع المراهق يقوم ببعض الأعباء المنزلية، أو يُكلف ببعض الأعمال خارج المنزل كجلب الحاجيات إذا كان ذكراً، ومنها عدم محاسبتها لولدها حين يُفسد أثاث المنزل، أو يتسلق المنضدة، أو يلعب بما لا يصح اللعبّ به.

وعلاج هذه الحالة تعميق عقيدة القضاء والقدر عند الأبوين، وأن نعمة الوّد لا تبقى مع الدلال، ولا تنقص مع الشدة، وأن الله هو الذي يعطي النسّل ويأخذه، وهو الذي يؤقته كيف يشاء.

ومن علاجها التدرج في تأديب الولد بالنصح والوعظ إلى الهجر بالكلام إلى العقوبة غير المبرحة وغير المؤذية.

وإظهار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف عانىّ في صغره من اليتم، وظروف المعيشة القاسية إلى أن شمله الله سبحانه وتعالى برعايته وتكليفه.

المفاضلة بين البنات والذكور

وهي أكثر الظواهر انتشاراً في مجتمعنا، ولها أسوأ النتائج السلوكية والخلقية، فمن ناحية تترك آثاراً جانبية بالكره للولد، والخوف من تمرده، أو طول يده على المراهقة، أو تفضيله بالمصروف والحنان، أو إرخاء العنان له ليتحكم بأخته كما يشاء ويفرض عليها من الأوامر ما يهوى تبعاً لتسلطه.

وقد نبّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا الأمر فقال: «**سوّوا بين أولادكم في العطية**»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**رحم الله والداً أعان ولده على برّه**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام للنعمان بن بشير وقد أراد أن ينحله أباه هدية، فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم: أكلّ ولدك نحلته مثل هذا، فقال: لا، فقال صلى الله عليه وسلم: «**واتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»[3].

وروى أنس أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء ابن له فقبلّه وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال صلى الله عليه وسلم: «**ألا سويّت بينهما**».

فما ذنب الطفل أن وُلد في الحياة وهو أنثى.

وما ذنبه إن كان بطبعه كثير الحركة والتنقل والمشاغبة.

---

(١) الطبراني: ١١/ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري: ٣/٢٠٦.

ألا ليعرف الأباء والأمهات أن البنات هن الودودات الرقيقات، وأن صحبتهن وتربيتهن والإحسان لهن هو سبيل الأبّ إلى الجنة.

لقوله صلى الله عليه وسلم:**«من كانت له بنتان فأحسن تربيتهما وزوجهما إلا أدخلتاه الجنة»**(١).

أنرجع إلى الجاهلية في معاملة الأنثى **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [النحل ٨٥] أنرهقها بالأعمال والمنزل والترتيب والتنظيف والطبخ والتربية، ثم لا ننصفها في المعاملة والقبلة. والودّ والابتسامة؟ إن هذا هو الظلم بعينه. وما من سبيل إلا تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم **«اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»**.

معالجة الإسلام للانحرافات الخُلقية

ومن هذه الانحرافات الحسد، الشماتة - السخرية - الغضب

ولقد حذرّ الإسلام من هذه الآفات، فيما يروي البخاري: **«إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»**(٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: **«لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»**(٣).

---

(١) مجمع الزوائد: ١١٩/٣ وله شواهد كثيرة.

(٢) صحيح البخاري: ١٢٥/٨.

(٣) السنة للبغوي: ١٤/١٣.

وقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد وصفت صفيّة بالقِصَر. فقال عليه الصلاة والسلام: «**لقد قلت كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته**»[1].

وقد نبّه الله تعالى إلى هذه التحذيرات فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١] إن الأباء لا يعدمون وسيلةً في معالجة هذه المشاكل عن طريق تهيئة الرفقة الصالحة والجوّ النظيف، ليشعروا في أعماقهم محبة الناس لهم، واهتمامهم بهم، وعطفهم عليهم، يقول ابن سينا: «**وأن يكون مع الصبي في مكتبه صِبيّة حسنة آدابهم، مرضيّة عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ، وبه آنس**» ويقول صلى الله عليه وسلم: «**عُرَاقة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره**»[2].

ظاهرة الحسد

وهو مرض اجتماعي وخيم، يؤذي صاحبه، وأسبابه كثيرة منها تفضيل ولد على آخر، والتقريع الشديد أمام الصبية، أو حرمان الطفل من بعض ميزاته كالمحبة والعطف، وعيشة في بيئة فقيره وأقرانه في بيئة مترفّة إلى غير ذلك من الأسباب.

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري: ٣/٥٠٥.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ٣٠٧٤٧.

والعرافة: هي حيوية الطفل وانطلاقته، وقوة الاجتماع لديه.

وعلاجها بالعطف والمحبة، والتدرج في إبلاغ خبر المولـود الجديـد، وعـدم ترك الطفل من أجل أخيه، وتحقيق العدل بين الأخوة، والحسد له آثار نفسـية سيئة واجتماعية خطيرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «**الحسد يُفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل**»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا**»[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب**»[3].

وما أحوج الأباء والأمهات إلى هذه المبادئ التربوية في معالجة الحسد، ليكون النشء خالياً من الآفات، ينشدون الصفاء والمحبة والإخلاص.

ظاهرة الغضب

الغضب ظاهرة انفعالية متأصلّة لدى الإنسان، ولولا ظاهرة الغضب التي ركبّها الله في الإنسان لانتهكت المحارم، واستعلى الشرّ والمكائد دون أن يتصدى لها أحد.

وقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يغضب إذا جاءه من يشفع في حدود الله. كما حدث مع أسامة بن زيد[4].

---

(١) المسند للإمام أحمد: ٢٤٣/٢.

(٢) معجم الطبراني: ٣٦٩/٨.

(٣) الترغيب والترهيب: ٥٤٧/٣

وما رواه الطبراني: «ما رأيت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم انتقم لنفسه من شيء إلا إذا أُنتهكت لله حرمة، فإن أُنتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضباً، وما عُرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن فيه سخط ا لله، فإن كان فيه له سخط كان أبعد الناس منه»[١].

أما الغضب المذموم فهو الغضب الذي يؤدي إلى صدع الأخوة والمحبة، والذي يكون نابعاً من مصالح شخصية، وبواعث أنانية، فلا عجب أن يُوْصي الرسول صَلى ا لله عليه وسلم من يسأله. قال: «لا تغضب»[٢].

وسأل ابن عمر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: ما يباعدني من غضب ا لله عز وجل، قال: «لا تغضب»[٣].

وقال صلى ا لله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصُرَعة (الذي يصرع الناس) ولكنّ الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[٤].

وقد وصف ا لله الهادئين من الناس قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

---

(٤) صحيح البخاري، باب السرقة. ٢١٣/٤.

(١) مجمع الزوائد: ١٦/٩.

(٢) مجمع الزوائد: ٧٠/٨.

(٣) صحيح البخاري: ٣٥/٨.

(٤) صحيح البخاري: ٣٥/٨.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وإذا كان الغضب يُفقد التوازن والاتزان فإن عاقبته وخيمة على وحدة الأسرة وترابطها وتماسكها، وعلى وحدة المجتمع.

ومن أهمّ سبل علاجه، عدم التمكين من أسبابه، حتى لا يصبح عادة مستحكمة.

وربما كانت أسبابه مرضيّة، فينبغي معالجة الولد طبياً، وإعداده صحياً، وربما كانت أسبابه نفسيّة بسبب التقريع والإهانة المستمرين، فيؤخذ المراهق بالحلم والأناة.

وله أسباب كثيرة. إلا أن العلاج النبوّي في هذا واضح وصريح منه:

أ- تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[1].

ب- اللجوء إلى السكوت: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»[2].

جـ- التعوذ من الشيطان الرجيم: جاء في الصحيحين أن رجلان استبّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحدهما يسبّ صاحبه مغضباً، وقد احمرّ وجهه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني لأعلم لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد**»[3].

---

(١) مسند أحمد: ١٥٢/٥.

(٢) إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ٢٣/٨

(٣) صحيح البخاري: ١٥١/٤.

فالحلم مَكرُمة يجب أن يتعود عليها المراهق، وضبط النفس مقدرة على التحكم بالنفس، والأخذ بالمنهج النبوي في معالجة الغضب أجدر بأن يؤدّي نتائجه.

وقد روى الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ألا إن الغضب جمرة تُوقد في قلب ابن آدم، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه، واحمرار عينيه، فمن أحسّ من ذلك شيئاً، فالأرض الأرض**»[1]. وهو بادرة شيطانية تتحكم في ابن آدم لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الغضب من الشيطان**»[2].

هذه أسمى التربية النفسية الإسلامية للمراهقين، أو هذا هو منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في الإصلاح ليؤدوّا ما عليهم من واجبات ومسؤوليات، عسى أن نجد أبناء الجيل وقد اكتملت شخصياتهم وصلُحتْ سريرتهم، وتحررت من الآفات النفسيّة نفوسهم وقلوبهم.

---

(١) مسند أحمد: ١٩/٣.

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٤٦٧/١٠.

الباب الثاني

الفصل الأول: الأحكام التي تخصّ المراهقة الأنثى، ونظرة الإسلام لها

الفصل الثاني: الأحكام الاجتماعية التي تُربيّ عليها المراهقة الأنثى

الفصل الثالث: الأحكـام الجنسيّة الـتي يصـرّح بهـا للمراهقـة مـع بعـض الآداب

الفصل الرابع: الأحكام الفقهية للمراهقة التي يجب أن تتعلمها.

الفصل الأول

إن الجنس البشري بحاجة من الناحية الطبيعية إلى الجنّس الأنثوي، وفي كل قبيلة، أو طائفة أو شعب كانت هناك فقرات خاصة بشأن المرأة، والإسلام اعتبر المرأة كأي فرد إنساني تستطيع أن تؤثر في المجتمع بقدر ما لديها من نفوذ وإرادة.

ونتيجة للحياة التي نعيشها اليوم والتي تعصف فيها مختلف التيارات السياسية، والأمواج الدعائية المتضادّة، والمتباينة إعلامياً، والتي سلَبت منا التفكير السليم بما أثارته من اضطراب ورعب وخوف، تحت شعار "يجب أن نفكر بشكل موضوعي ومستقل وصحيح، مكان التقليد الأعمى» الذي يُراد به الإسلام.

ومن ناحية أخرى فشعوب أوربا بما حصلت عليه من قدرة مدهشة عن طريق التقدم العلمي والصناعي، مستخدمة جميع الوسائل الممكنة لأجل تسخير قارّات العالم، وبسط نفوذها والتوسع السياسي، والسيادة الاقتصادية عليها، وبالنتيجة استطاعت أن تجعل هذه الشعوب تعتقد تماماً بتفوقها العلمي والعملي، وتؤمن به إلى درجة، جعلت هذه الشعوب تتصور أن أي حياة سوى الحياة الأوربية لا قيمة لها، وأن حياتهم ليست سوى تقليد لخرافات الأجداد الجهلة عديمي المعرفة، ولذا يجب على كل إنسان ذي شعور أن يحق المنطق الذي منحه إياه ربه تعالى تحت قدمه ويواكب طريقة الحياة الأوربية بدون تعليل متبعاً بذلك

أسلوبها الخاص في الحياة، إلى جانب صراعاتنا الداخلية والاختلافات والتناقضات منذ ألف سنة أو تزيد.

وكانت نتيجة لكل هذا أن طلبنا من الغرب تقييم حقائقنا التاريخية، والمعتبرة والروحية، وشرح مفاهيمنا الخاصة، واستجدينا تعاليمنا من خلال بحوثهم في الوقت الذي نجد أن معلوماتهم عن إسلامنا من مخلّفات القرون الوسطى ورواسبها الذهنية المتبقيّة فيهم، والشروح لقساوستهم.

وعلى هذا المنطق وبهذا الأسلوب عرضوا مكانة المرأة في الإسلام فقالوا: المرأة تحت النظام الإسلامي قد عاشت في حالة أسر وحرمان تام من جميع حقوقها الاجتماعية، وليس لها الإرادة ولا حرية العمل، وهي في الإرث والشهادة لها نصف الرجل، والمرأة يجب أن تكون سجينة الدار، ومحرومة من نعمة الكتابة والقراءة، وإذا ما اضطرت إلى أن تخرج في بعض الأحيان نتيجة ضرورة ما، فيجب أن تغطي نفسها بعباءة سوداء لتصبح بعد ذلك قطعة سوداء تماماً.

ومن هنا وجب علينا توضيح بعض النقاط للقوانين الإسلامية.

إن الإنسان يتميز عن الحيوان بخاصية الإدراك والوعي المتأتية من عمل الحواس، والشاملة لجميع المعلومات والتي نحصل بواسطتها على تنظيم خاصّ للنتائج الكلية، ونكشف عن طريقها المجهولات.

والقرآن الكريم يذكر موهبة التعقل التي مُنحت للإنسان مما يجعل الإنسان مسؤولاً عن حواسه وتعقله.

الإسلام يعتبر الإنسان موجوداً راقياً، وأن المرأة والرجل إنسانان مع اختلافهما من حيث كون أحدهما ذكراً والآخر أنثى، وليس هناك أي فرق بينهما في الإنسانية، ذلك لأن أيّ فرد إنسانيّ بشكل عام هو نتيجة عملية التناسل بين الذكر والأنثى.

وعلى هذا الأساس فالمجتمع الإنساني الذي هو وليد هذه الخاصة المميزة للإنسان، وثمرة هذه الشجرة المعطاء مفروض عليه اتباع خاصية التعقل هذه، وتشخيص القوانين والمقررات الاجتماعية تحت ضوء العقل السليم لا متطلبات العواطف والإحساسات.

وبالنتيجة فالأحكام والقوانين الواجب إجراؤها في المجتمع هي التي يقبلها العقل، ويراها ضرورية، وإن كانت تخالف رغبات الكثير من أفراد المجتمع ذلك لأن الإنسان من أجل السعادة يجب أن يتخذ سبيلاً معنيّاً يرتضيه ضميره النوعي، ويرى أنه سبيل السعادة لا ما تفرضه عواطفه الحيوانية والإسلام يعتبر الإنسان موجوداً راقياً، وأن المرأة والرجل إنسانان مع اختلافهما من حيث كون أحدهما ذكراً والآخر أنثى، وليس هناك أي فرق بينهما في الإنسانيّة، ذلك لأن أي فرد إنساني بشكل عامّ هو نتيجة عملية التناسل بين الذكر والأنثى.

وعلى هذا فالشريعة وضعت الأنثى في مكانها كجزء مكمل للمجتمع الإنساني، وحين ننظر بشكل عام إلى المحيط الإنساني، نرى أن ثروة العالم في كل عصر هي من حق سكان ذلك العصر، فما داموا أحياء فإنهم يستثمرونها، وبعد موتهم تنتقل بالوراثة إلى أعقابهم، وحين ينقرض الجيل الحاضر ويليه القادم المتكون من المرأة والرجل بالتساوي عدداً، فهم يقتسمون الثروة على أساس أن ثلثين منها

للرجل وثلث واحد من حق المرأة، ونتيجة لتحمل الرجل نفقة المرأة فإن ثلث المرأة يوضع جانباً، وتستهلك هي والرجل الثلثين الآخرين مناصفة وعلى هذا يكون ثلثي الثروة في الواقع من نصيب المرأة وثلث واحد من نصيب الرجل فهي تتصرف بثلثي ثروة العالم، والرجل يتصرف بثلث واحد، والنسبة معكوسة فحسب هذا التقسيم يكون الرجل هو المدير والمشرف على الممتلكات والمتسلط على القسم الأعظم من الأرض، وبيده زمام الأمور، أما المرأة فمن حيث التصرف والاستفادة تكون هي الحاصلة على القسم الأعظم من الثروة، والمستهلكة لها والسعيدة بها، ذلك أن العدالة الاجتماعية لا تقضي بأن تكون إدارة الثروة تحت سلطة العقل، وأن تكون الاستفادة منها بيد العواطف والإحساسات، أما بالنسبة لأثر العلاقات والروباط الاجتماعية فهي لا تختلف في هذا المضمار عن الرجل بشرط أن لا تُظهر زينتها[1].

إن اختلاف تكوين المرأة الفيزيولوجي تختلف عن الرجل اختلافاً كبيراً، فكل خليّة من خلايا جسمها تحمل طابع جسمها، فعلى النساء أن ينمّين أهليتهنّ تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولون تقليد الذكور.

ولذا يجب أن لا نلقّن الفتاة التدريب العقلي والمادي، ولا أن تثبت في نفسها المطامع التي يتلقاها الفتيان وتتشبه فيهم.

الأنثى ذات دور خطير له أثاره الصميمة في مسيّرة الإنسانية، وما من شك أن تلازماً مصيرياً يربط بين أهمية الدور وأهمية المنهج التربوي، كي يتأتى للأنثى أن تنهض بأعباء الوظيفة الاجتماعية. الدور الذي تضطلع بأعبائه الأنثى دون الذكر.

---

(١) المرأة في الإسلام: محمد حسين الطباطبائي بتصرف.

برامج التعليم للبنات لا تشمل على أية دراسة مستفيضة للصغار والأطفال وصفاتهم الفعلية والفيزيولوجية.

ويجب أن تُعاد للمرأة وظيفتها التي لا تشتمل على الحمل فقط، بل أيضاً على رعاية صغارها.

إن التربية مطلوبة لكلا الجنسين، ولكنها تتطلب توسعاً أكبر وجهداً أعظم بالنسبة للأنثى بحيث تتأقلم فيها النظريات والأسس، وتصبح مع مرور الزمن، مدرسة قائمة بذاتها، متميزة بمنهجها.

ثم إن التمايز الجنسي والنوعي بين الذكر والأنثى لا يحظى بالاهتمام المطلوب في عمق الدرس والتوجيه، وإن كثيراً من الفتيات يجهلنّ أكثر الحقائق عن أنوثتهن التي هي في صلب التربية.

وليس معنى الأنوثة الضعف أو الخوف لرؤية فأر أو صرصار، بل إن الجهاز الأنثوي مزوّد بجهاز تناسلي يسيطر على كيانها، فالغريزة عند المرأة هي القوة الداخلية التي تجعلها تفيض رقة وحناناً على الأطفال، وهي جزء من عاطفة الشفقة التي تحسّ فيها الأنثى عندما تشاهد حيواناً يقاسي العذاب والألم. وهي نفسها التي تفيض رقة وحناناً إزاء شخص يعاني الوحدة والوحشة.

وخير وسيلة تدافع بها المرأة عن نفسها هي أن تقول لا في اللحظة الحاسمة، ولهذا السبب ينبغي على النساء أن يقينّ أنفسهنّ بالتمسك بمستوى الأخلاق والسلوك، وإنه ليفزع النفس أن تراعي كل برامج التلفزيون والسينما والأغاني تمثل الجانب الخيالي وحده، وهكذا يخيّل للفتاة أن هذا الوهم هو الحبّ

كله. فإذا فشلت الزوجات في إدراك قيمة حيويتهنّ وتكوينتهنّ فإنهنّ يجلبنّ الشقاء والتعاسة على أنفسهنّ.

إذا استخدمت المرأة طاقتها الحيوية في مساعدة نفسها وغيرها، وفي بذل فعونتها وحيويتها وعطفها للأصدقاء، ومهما يكن فإن الطاقة الحيويّة لدى المرأة يمكن أن تكون قوة مضيئة باهرة الجمال، أو يائسة موحشة لكننا لا نستطيع التقليل من شأنها.

الأسرة هي عماد التربية

المرأة الصالحة هي التي تعيّ مسؤوليتها في تربية الأبناء تربية سليمة، وعملية المرأة هي عملية تصدير من الداخل إلى الخارج.

فالمرأة متربعة على عرش القلوب دائماً.. أمكّ ثم أمكّ ثم أمكّ ثم أباك.

نماذج إسلامية

المهاجرات إلى الجنة - الخنساء بنت عمرو - خولة بنت مالك التي نزلت فيها سورة المجادلة رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاطمة بنت قيس الفهرية في بيتها اجتمع أهل الشورى لاختيار خليفة للمسلمين لعقلها وكياستها واطمئناناً لسيرتها وسيرة بيتها.

أم سلمة.

ومن العالمات فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن الفقهيات زينب بنت أبي سلمة.

وأروى عمةّ الرسول صلى الله عليه وسلم كانت من الأديبات الشاعرات[1].

ولقد أجمع الفقهاء والعلماء سلفاً وخلفاً أن ما يجب تعلمه على سبيل فرض العين. أي واجب على كل واحدة بعينها، فالمرأة والرجل على حدّ سواء وذلك لسببين:

- أن المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية.

- المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي.

أما أن المرأة كالرجل في التكاليف الشرعية، فلأن الإسلام كلفّها بكل التكاليف التي كلّف بها الرجل من صلاة وصيام وزكاة وحج، وبرّ وعدل وإحسان، وبيع وشراء وتوكيل، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر.

وغير ذلك من هذه الأعباء والمسؤوليات إلا في بعض الحالات الخاصة أعفاها الشارع منها نتيجة لطبيعة تكوينها وجسدها، أو فيما يضرّها ويؤذيها من الناحية النفسية أو الأخلاقية، كأن تكون بناءة أو حدادّة، أو سائقة تكسي أو غير ذلك من المهن.

أو يكون العمل الذي تزاول يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كالقيام بمسؤوليات الأسرة، وتربية الأولاد، والإشراف على البيت.

(١) تربية البنات في الإسلام. محمد علي قطب بتصرف.

وإما أن يترتب على عملها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في وظائف وأعمال تختلط فيها بالرجال، أو يكون فيها مفسدة أخلاقية لها كعملها في عرض الأزياء أو في نوادي اللهو والخمر، أو غير ذلك.

وهذه الإعفاءات للمرأة تقديرٌ لها، ورفع لكرامتها ومنزلتها.

وهل أغلى على المرأة من العرض والشرف، وكيف تكون تربية الأولاد إذا درجت المرأة في الفساد، وسارت في طريق الفحشاء.

ويكفي أن مصلحي الغرب ينادون بعودة النظام الإسلامي إلى بيوتهم بعد أن استهلكت المرأة عندهم وتفشتّ الأمراض، وتقطعت الروابط العائلية.

وأما المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي، فسنورد قوله تعالى في ذلك: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٣٥].

وروى مسلم في صحيحه: أن أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين كلّهنّ يقلنّ بقولي، وعلى مثل رأي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء مقصورات مخدّرات، قواعد بيوت، وأن الرجال فُضلّوا بالجمُعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه إلى أصحابه فقال: **((هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً من دينها من هذه؟))**، فقالوا بلى يا رسول الله فقال لأسماء: **((انصرفي يا أسماء وأعلمي من ورائك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت))**[1]. فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبّر، استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث دليل على أن الأجرّ الذي تناله المرأة في ترتيب مسكنها، وطاعة زوجها وتربية أولادها يعدل أجر الرجل في جهاده واختصاصه، وقد اعتنى الإسلام بالبنت وتعليمها.

ففي الحديث: **((أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران))**[2].

وفي صحيح البخاري: **((أن امرأة أتت الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه تعلّمنا مما علّمك الله، فقال عليه الصلاة والسلام: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهّن مما علّمه الله))**[3].

وقد ثبت أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى **((الشفاء العدويّة))** فلما

---

(١) الدرّ المنثور للسيوطي: ١٥٣/٢.

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري: ٢٩٢/١٣ سبق تخريجه.

(٣) صحيح البخاري: ١٩٥/٣.

تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم طلب إلى الشفاء أن تعلّمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة.

وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في الإسلام وصلت إلى أسمى درجات العلم والثقافة، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الأولى.

فقد ورد أن القاضي عيسى ابن مسكين كان يُقرئ بناته وحفيدتاه، فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلّمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل "أسد بن الفرات" بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة وقد كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب مؤدباً يعلمّ الأطفال بالنهار، والبنات في الليل.

وقد عدّ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق وأحد رواة الحديث أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة[1].

وقد كانت بعض الفقيهات والمحدثّات أساتذة لكبار العلماء كابن حجر والشافعي والبخاري وابن حبّان، وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري والثقافة الإسلامية المتنوعة.

وإذا أذنَ الشرع للمرأة بالتعلم فيجب أن يكون في معزل عن الذكور، حتى يسلم عِرض البنت وشرفها، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة كريمة الخلق كثيرة الاحترام.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام: ٢٧٣/١.

فقد قال القابسي في رسالته عن التعليم: "إن من حسن النظر ألا يخلط بين الذكران والإناث" وقال ابن سحنون: "أنا أكره أن يعلّم الجواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن" وهذا رأي مستمدٌ من الشرع وحكمه.

فكيف يتصور اختلاط المرأة بالأجنبي، والمرأة المسلمة مأمورة بالحجاب لقوله صلى الله عليه وسلم: **((إياكم والدخول على النساء، فقال رجل: يا رسول الله أفرأيت الحموّ أي أخ الزوج))**؟ قال: الحمو: "الموت"[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: **((ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما))**[2].

وذلك هو معرفة أن الميلّ الجنسي هو فطرة بين الرجل والمرأة لا سيما إذا كان جائعين جنسياً في فترة المراهقة، ولم يكنْ الأخلاق والدين حصّنهما. كان الانجذاب إلى الفاحشة أقوى وأبلغ.

وأوربا التي تعلن الاختلاط في كل مكان، هل حدّ الاختلاط من ثوران الجنس بين المراهقين. فالادعاء أن الاختلاط خفف حدّة الشهوة الجنسية عند المراهقين لاعتيادهما على بعضهما البعض في المدرسة والشارع والنادي هو كذب ظاهرٌ فساده.

وهو قول أحد أقطاب الفساد: كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوا المرأة في حبّ المادة والشهوات.

---

(١) صحيح البخاري: ٤٨/٧.

(٢) مجمع الزوائد: ٣٢٦/٤.

ويقول كبير الماسونيّة: يجب علينا أن نكسب المرأة، فأي يوم مدّت إلينا يدها فزنا بالحرام، وتبدد جيش المنتصرين للدين.

وفي برتوكولات حكماء صهيون ما يلي: إن فرويد (العالم النفسي) منّا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشاب شيء مقدس، ويصبح همّه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه، يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

فالغريزة الجنسية عندما تتحرك عند الإنسان، فإنها تفرز غدد الذكر والأنثى نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي، هذا إذا لم يصاحب ذلك التدخين ومشاهدة الأفلام الجنسية، والصور العارية، أو تناول الخمور أو غيرها من الآفات التي تضرّ بعقول المراهقين.

الفصل الثاني

الأحكام الاجتماعية للمراهقة الأنثى

وأول هذه الأصول الاجتماعية هي **التقوى**، لأن الشخصية الإسلامية لا يتم تكوينها إلا بها، ولا تتكامل إلا بتحقيقها، وهي نتيجة حتميّة، وثمرة طبيعية للشعور الإيماني الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل، والخشية منه والخوف من غضبه وعقابه، والطمع بعفوه وثوابه، وهي كما عرفّها الأقدمون: «**أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك**» أو هي: «**اتقاء عذاب الله سبحانه بصالح العمل، والخشية من الله تعالى في السرّ والعلن**».

ومن هنا كان اهتمام القرآن بفضيلة التقوى والأمر بها، وحتى لا تمرّ صفحة في القرآن لا تذكرنا بها أو بثمارها ونتائجها لما قيل: «**فذلك التقوى، حاسيّة في الضمير، وشفافية في الشعور،وخشية مستمرة، وحذر دائم، وبعدٌ عن أشواك الطريق الذي تتجاذبه الرغائب والشهوات،والمخاوف والهواجس، وأشواك الرجا، فمن لا يملك رجاءه والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً أو ضرّاً، وعشرات غيرها من الأشواك**»[1].

---

(١) في ظلال القرآن: ١/٤٠.

وكما قال سيدنا عمر عندما سأله أبيّ بن كعب عن التقوى: فقال له: أمّا سلكت طريقاً ذا شوك قال: بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى[1].

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكان التقوى في قلبه وقال: «**التقوى ههنا**»، على أساس أن أصلها النفسي في التربية الاجتماعية، لا سيما الإضرار بالناس، وقد أنتجت التقوى نتائج باهرة في نفوس المؤمنين.

فقد خرج عمر بن الخطاب يوماً إلى الجبل يتفقد الناس، فانحدر به راعٍ من الجبل، فقال له عمر: يا راعي بعني شاة من هذا الغنم.

قال: إني مملوك، قال له عمر: قل لسيدك أكلها الذئب، قال الراعي: فأين الله؟ فبكى عمر رضي الله عنه، ثم غدا لهذا المملوك فاشتراه من سيده وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وقد علمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم المراهقين أحكام دينهم في خطابه لابن عباس وراءه فقال له: «**يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفّت الصحف**».

وقد ورد في بائعة الحليب التي أوصتها أمّها أن تخلط اللبن بالماء

---

(١) عمر بن الخطاب: محمد رواس القلعجي.

فقالت: **إن عمر نهى عن ذلك، قالت الأم: أين نحن من أمير المؤمنين،** إنه لا يرانا، وتردّ البنت: إن كان أمير المؤمنين لا يرانا، فإن ربّ أمير المؤمنين يرانا.

الأخوّة

هي رابطة تُورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية، ووشائج الإيمان والتقوى، فهذا الشعور الأخويّ الصادق يُولّد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون والإيثار والرحمة، ولقد حثّ الإسلام على هذه الأخوة في الله، وبيّن مقتضياتها وملتزماتها في كثير من الآيات القرآنية.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠] وقال: ﴿**قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾ [القصص: ٣٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، ولا يحقّره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله وعرضه**»[1]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**»[2].

وروي أيضاً: أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «**أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلّهم في ظلّي يوم لا ظلّ إلا ظلّي**»[3].

(١) المسند للإمام أحمد: ٣٨١/٥

(٢) صحيح البخاري: ١٤٤/٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي: ٢٠٤٢.

وكان من نتيجة هذه الأخوةّ والمحبة في الله أن تعامل أفراد المجتمع الإسلام عبر التاريخ وخلال العصور على أحسن ما يتعامل الناس مواساة وإيثاراً وتعاوناً وتكافلاً.

وقد روي أن الناس أصابهم قحط شديد في أيام عمر، وجاءت قافلة لعثمان بن عفان مكونّة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس، فتراكض التجار يطلبون شراءها، فقال: كم تعطوني ربحاً؟ قالوا: خمسة بالمائة، قال: إني وجدت من يعطيني أكثر، قالوا: ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح قال: إني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر إني وجدت الله يقول: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٦١].

أشهدكم يا معشر التجار أن القافلة وما فيها من برّ، ودقيق، وزيت وسمن قد وهبتها لفقراء المدينة وإنها صدقة على المسلمين[١].

الرحمة

هي رقّة في القلب وحساسية في الضمير، تستهدف الآخرين بالرأفة، والعطف عليهم، ومسح دموعهم وأحزانهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن يَنْفر من الإيذاء، ويبتعد عن الجريمة، ويصبح مصدر خير، وبرّ وسلام للناس أجمعين قال صلى الله عليه وسلم: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم**

(١) للتوسع يراجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١/٢١٧.

من في السماء»[1]. وحكم على الفاريّن من الرحمة بأنهم هم الأشقياء: قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[2].

والمؤمن هو الذي يتّقي الله في الناس، بل وتتجاوزها إلى الحيوان الذي يراه بحاجة إلى مدّ يدّ العون له، أو البعد عن إيذائه، فقد غفر الله لزانية سقت كلباً عطشاً، وفُتحت أبواب النار لامرأة حبست هرّة حتى ماتت فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ورأى عمر رجلاً يسحب شاة من رجلها ليذبحها، فقال له: «**ويلك قدْها إلى الموت قوداً جميلاً**».

ولقد بنيت مدينة الفسطاط إثر فتح عمرو بن العاص لمصر، فنزلت حمامة بخيمته، فعششت، وحين أراد الرحيل رآها، فلم يشأ أن يقوضّ الخيمة ويهيجها صغارها فترك لها الفسطاط، وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة الفسطاط.

ومن الأمثلة الوقف الخيري عند المسلمين للكلاب الضالّة، ووقف الأعراس حيث يستعير الفقراء من وقف الحلي والزينة، ووقف مؤنس للمرضى والغرباء وذلك بتعيين الناس الذي يتقنون الأناشيد وحسن الأداء ليرتلوا الأناشيد طوال الليل سعياً وراء التخفيف عن المرضى، وإيناس الغريب.

ووقف الزبادي، وهو كل مخدوم يكسر لمخدومه شيئاً، وخاف أن يتعرض لغضب مخدومه أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور ويأخذ إناء جديداً بدلاً منه.

---

(١) مسند أحمد: ٢/١٦٠.

(٢) سنن الترمذي: ١٩٢٣.

وغيره كثير. وهذه مفخرة من مفاخر حضارتنا في التاريخ.

العفو

هو التسامح والتنازل عن الحق بشرط أن يكون المعتدي قادراً على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين، ومقدسات الإسلام، وإلا كان العفو ذلّ ومهانة وخضوع، فلا عجب أن نرى الإسلام يَحضّ عليه ويأمرنا أن نعوّد أولادنا على هذه المكرمة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال أيضاً: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومن المعلوم أن نفسّية المؤمن حينما تكون متخلّقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح، فإنه يكون مثلاً يُحتذى في الملاطفة، وسموّ الخلق، وحسن المعشر.

ومما روى عن الإمام زين العابدين: أن غلاماً كان يصبّ الماء له للوضوء، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر وجرحت رجله، فقال الغلام على الفور: يا سيدي يقول الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال زين العابدين: لقد كظمت غيظي، قال الغلام ﴿والعافين عن الناس﴾ قال: لقد عفوت عنك قال: ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال زين العابدين: أنت حرّ لوجه الله.

وقد كان سبب نزول قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أنّ قريباً لأبي بكر اسمه "مسطح" كان ينفق عليه، ويكفله، فلما قيل ما قيل في السيدة عائشة في حادثه الإفك، كان مسطح واحداً من الذين تناولوا عائشة بالإفك والزور والبهتان، فلما أنزل الله براءتها حلف أبو بكر أن يهجر قريبه ولا يصلّه، فنزلت الآية، فعفا أبو بكر وصفح، وعاد إلى عطائه الأول قائلاً: إني أحب أن يغفر الله لي.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور العين شاء**»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: «**ألا أنبئكم بما يشرفّ الله به البنيان، ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحكم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**»[2].

مراعاة حقوق الآخرين

ومنها حق الأبوين، حق الأرحام، حق الكبير، حق الجارّ، وحق المعلم

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٣٨/٣.

(٢) مجمع الزوائد: ١٨٩/٨.

حق الأبوين

ولعلّ هذه من أخطر العلاقات التي سارت في وقتنا الحاضر، وهُوَت حقوق الأبوين بحيث أصبحنا نسمع سيراً وقصصاً في العقوق يذهل عنها الإنسان، وما ذلك إلا لتفريط الأبوين في التعريف بوصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في برّ الوالدين.

روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فَتح الله له بابين يعني الجنة وإن كان واحداً فواحد، وإن غضب أحدهما لم يرضَ الله عنه حتى يرضى عنه، قيل: وإن ظلماه؟ قال: وإن ظلماه**»[1].

ويروى أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**يا رسول الله أردت الغزو، وجئت أستشيرك،، فقال: هل لك من أمّ؟ قال: نعم: قال: الزمها فإن الجنّة عند رجليها**»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل أراد الجهاد معه وترك والديه يبكيان «**ارجع إليهما فاضحكهما كما أبكيتهما**»[3].

وقال آخر أراد الهجرة والجهاد، «**فهل من والديك أحدٌ حيّ؟ قال: كلاهما، قال: فتبتغي الأجر من الله؟ قال: نعم، قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[4].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري:١٧-١٨.

(٢) سنن النسائي: ١١/٦.

(٣) مسند أحمد: ٢٠٤/٢.

فبرهّما مقدم على الجهاد في سبيل الله تعالى كما اتضح من الأحاديث.

يقول الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ترفع للميت بعد موته درجته، فيقول: أي ربي أي شيء هذا؟ فيقول له: ولدك استغفر لك**»(١).

وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من البرّ أن تصل صديق أبيك**»(٢).

وقد قدمت الأمّ على الأب، لأن حنانها وعاطفتها يُطمع الولد بها فينسى شكرها، ويعقّها، ويعرض عنها، لهذا جاءت الشريعة موصية الولد بأن يكون أكثر برّاً بها، وطاعة لها، حتى لا يتساهل في حقها، ولا يتغاضى عن برّها واحترامها وإكرامها.

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن جاء إلى الشابّ الذي كان يلفظ أنفاسه ويتعذب في خروج روحه، وهو قائم صائم متصدق فلما أبلغ رسول الله بذلك قال: هل له أمّ، قالوا: نعم عجوز فذهبوا إليها، فقالت: إني عليه

---

(٤) صحيح مسلم: باب البر والصلة رقم ٦.

(١) الأدب المفرد:رقمه (١٧) باب بر الوالدين بعد موتهما.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي:رقمه (٤٥٥١١).

لساخطة، كان يؤثر امرأته عليَّ، ويطيعها في الأشياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سخطُ أمّه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله**»[1].

وقال: «**يا معشر المهاجرين والأنصار من فضّل زوجته على أمّه فعليه لعنة الله، ولا يقبل منه صرف ولا عدلٌ**» (لا نفل، ولا فريضة) ولهذا السبب كان برّ الأمّ مقدماً على برّ الأبّ.

ولبرّ الأبوين آداب منها:

ألا يمشوا أمامهم، وألا ينادونهم بأسمائهم، وألا يجلسوا قبلهم **وألا** يتضجروا من نصائحهم، وألا يأكلوا من طعام ينظرون إليه، وألا يَرْقوا مكاناً عالياً فوقهم، وألا يخالفوا أمرهم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ما برّ أباه من سدّد إليه الطرف بالغضب**»[2].

وقد أتى شاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومعه شيخ. فقال له: يا هذا من هذا الذي معك؟ قال: أبي، قال: فلا تمش أمامه ولا تجلس قبله، ولا تدْعه باسمه، ولا تستب له»[3].

وسئل عمر بن زيد. كيف برّ ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهاراً قط إلا وهو خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي. ,لا رقى سطحاً وأنا تحته.

---

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي: ٣٣٠/٨.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي. ١٤٧/٨.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ٤٥٥١٤.

وقد حذّر الرسول صلى الله عليه وسلم من العقوق لأن معناه العصيان والمخالفة وعدم أداء الحقوق، فمن العقوق أن ينظر الولد إلى أبيه نظرة شزر عند الغضب.

ومن العقوق أن يتعاظم الغرور على الولد فيستحي أن يُعرّف بأبيه خاصة إذا كان في مركز اجتماعي مرموق.

ومن العقوق أن لا يقوم الولد بحق النفقة على أبويه فيضطرهما إلى إقامة الدعوى عليه ليلزمه القاضي الإنفاق عليهما.

ومن أكبر العقوق: أن يتأفف الولد من أبويه، ويتضجر منهما ويعلو صوته عليهما ويقرّعهما بكلمات مؤذية جارحة، ويجلب الإهانة لهما، والمسبّة لشخصهما، أو يوقع نفسه في مشاكل ويجعلهما يسعيان لتخليصه منها مما يسبب الأذى لهما.

ومن العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه أو أفضل منه.

لذا كان إثم العقوق يُعجّل له في الدنيا قبل الآخرة، وأنه يصاب بالوزر وحبوط العمل، والانتقام العاجل في الدنيا وعدم سداد الرأي.

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة مدمن الخمر، والعاقّ لوالديه، والديوث الذي يُقرّ الخبث في أهله**»[1].

---

(١) مستدرك الحاكم: ٧٢/١.

وروى الحاكم عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «**كل الذنوب يؤخر الله ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات**»[1].

ففضيلة البرّ بالوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية جميعاً، فمن السهل إذا تربى الولد على البرّ بوالديه أن يحترم الآخرين، ويحسن المعاملة لهما ومن العقوق إبكاء الوالدين: قال صلى الله عليه وسلم: «**بكاء الوالدين من العقوق والكبائر**»[2].

حق الأرحام

الأرحام هم قرابة الإنسان على الترتيب بدرجة القربى الأقرب فالأقرب وقد سُموا أرحاماً لسببين: أ - اشتقاق اسم الرّحم من الرحمن لتأكيد الرّحمة بهم في الحديث القدسي: يقول الله: «**أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته**»[3].

ولا يخفى أن هذا الاشتقاق باعثٌ على الرحمة، ودافع للعطف والحنان نحو من له حق الصلّة من ذوي القرابة والنسب.

ب - إن انحدار القرابة من الأصل الذي ينتمي إليه الإنسان، لها تكريم عند الله تعالى. فوجب على الإنسان أن يلتزمها ويحترمها ويؤكدها ولقد قال

(١) مستدرك الحاكم: ١٥٦/٤.

(٢) الأدب المفرد: ٣١/٢٣.

(٣) الترغيب والترهيب: ٣٣٨/٣.

تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(٢٢)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ(٢٣)﴾ [محمد: ٢٣].

فوجب على الأم أن تعلّم المراهقة حقوق الرحم لأنها من شعار الإيمان بالآخرة.

قال صلى الله عليه وسلم: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصلّ رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[١].

وهي تعمّر الديار وتثمّر الأموال: قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله ليعمّرّ بالقوم الديار، ويثمرّ لهم الأموال، وما نظر إليه منذ خلقهم بُغضاً لهم، وقيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم الرحم**»[٢].

وروى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[٣].

---

(١) صحيح البخاري: ٦/٨.

(٢) مستدرك الحاكم: ١٦١/٤.

(٣) صحيح البخاري: ٦/٨.

إن هذه الفضائل إذا وضعت بين يدي المراهقة، فلا شك أنها ستندفع إلى محبة أقربائها، وصلة أرحامها، فتؤدي حقهم، وتشاركهم في آلامهم وأفراحهم، وتفرّج عن كروبهم وفقيرهم.

حقّ الجارّ

وهي من الحقوق التي أصبحت نادرة في عصرنا، فقد يعيش الإنسان دهراً طويلاً لا يتعرف إلى جيرانه ولا يمدّ لهم يدّ العون.

وقد جعل الإسلام الجارّ إلى أربعين دار عن اليمين وعن الشمال ومن فوق أو تحت.

ولقد أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو فقال: لقد نزلت في محلّة بني فلان، وإن أشدّهم إليّ أذى أقربهم إليّ جواراً، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً يقومون على بابه فيصيحون: «**ألا إن أربعين دار جارّ، ولا يدخل الجنة من خاف جاره بوائقه**»[1] (شروره).

وحقوق الجار أربعة أصول:

أن لا يلحق الأذى بجاره، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفّاه بالحلم والصفح.

وكَفّ الأذى أنواع: منها السرقة والزنى، والسباب، والشتائم، ورمي الأوساخ، وانتهاك الحرمة.

---

(١) مسند احمد: ١٥٤/٣.

روى الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لأصحابه: «**ما تقولون في الزنى؟ قالوا: حرّمه ا لله ورسوه فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول ا لله: لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، فقال: ما تقولون في السرقة؟ قالوا: حرمها ا لله ورسوله، قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جارّه**»[1].

وحماية الجار: كفّ الأذى عنه مكرمة من المكارم الخلقية، والأصل من هذا قول الرسول صلى ا لله عليه وسلم: «**المسلم أخو المسلم لا يُسلمه ولا يخذله، من كان في حاجة أخيه كان ا لله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج ا لله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره ا لله يوم القيامة**»[2]. فإن كان حق المسلم واجباً فهو في حق الجار أوجب وألزم.

ولا يكفي كفّ الأذى عن الجار بل يدخل في **الإحسان إلى الجار**، من ذلك تعزيته عند المصيبة، وتهنئته عند الفرح:وعيادته في المرض، وبداءته بالسلام، ونصحه فيما يرشده في أمر دينه ودنياه.

وقد قال النبي صلى ا لله عليه وسلم: «**من أغلق بابه دون جارّه مخافَة على أهله وما له، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه، أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عُدْتَ عليه، وإذا مرض عدْته، وإذا أصابه خير هنأتّه، وإذا أصابته مصيبة عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطلْ عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه**

(١) مسند أحمد: ٨/٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ١٨٣/٢٢.

بقُتار ريح قِدرِك إلا أن تغرفَ له منه، وإن اشتريت فاكهة فاهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[1].

وقد روي عن جابر "الجيران ثلاثة: جارٌ له حقّ وهو المشرك، وجار له حقان، وهو المسلم له حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم، فله حق الجوار والإسلام والرحم".

وقد ذبح عبد الله بن عمر شاة، فقال يوصي غلامه: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مراراً، لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[2].

ومن الإحسان إلى الجار ما يطلبه الجارّ من النار والملح والماء، وما تعارف الناس عليه من أمتعة البيت الخفيفة خاصة وقت الأفراح أو المآدب أو كثرة الضيوف، وقد قال كثير من المفسرين أن الله يقصد الجارّ في قوله تعالى: **﴿ويمنعون الماعون﴾** [الماعون: ٧].

إنما قصد بها هذه الأدوات، لأن منعها دليل على لؤم الطبع، ودناءة النفس.

وقد قالت السيدة عائشة: **«لا تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين إلا أن تنزل بين أبويها»** أي كأنها نزلت بين أبويها.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ١٢/١٣٣٤٠.

(٢) مسند أحمد: ٥/٣٦٥.

واحتمال أذى الجارّ من المكرمات التي حضّ عليها الإسلام، فأرفع درجات الخلق هو العفو عن الإساءة واحتمال الأذى، قال صلى الله عليه وسلم: «**ألا أدلكم على ما يرفع به الله الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: تحلم على من جهل عليك، وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك**»(١).

ويكون الصفح عن المذنب، والعفو عن المسيء دواء لسوء خلقه وتقويمه لانحرافه واعوجاجه قال تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

ولا شك أن الفتاة حينما تتخلق بهذه الخصال عند الصغر تنمو في نفسها نزعة التطلع إلى الاجتماع بالآخرين، وتتلاشى من نفسها آفاق العزلة والانكماش والإنطوائية.

حق المعلّم

ويجب أن تتعلم الفتاة حق المعلم واحترامه وتوقيره حتى تنشأ على الأدب الاجتماعي الرفيع تجاه من كان له حق التعليم والتوجيه والتربية خاصة إذا كان المعلم يتصف بالصلاح والتقوى ويتميز بمكارم الأخلاق روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمون منه**»(٢).

---

(١) مجمع الزوائد: ١٠٦/٨.

(٢) مجمع الزوائد: ١٢٩/١.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث لا يستخفّ بهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام، وذو العلّم، وإمام مقسط**»[1].

وأخذ ابن عباس مع جلالة قدره، وعلّو منزلته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري وقال: "هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا".

وقال الإمام الغزالي: لا يُنال العلم إلا بالتواضع، وإلقاء السمع.

وقال الإمام الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقة هيبة لئلا يسمع وقعها.

وينبغي ألا يخاطب معلمه باسمه بل يا سيدي وأستاذي.

وأن يدعو لأستاذه مدة حياته، ويصبر على جفوة الأستاذ قال بعض السلف: "من لم يصبر على التعليم، بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عزّ الدنيا والآخرة.

ومن حق المعلم أن يجلس بين يدي معلمه بأدب وتواضع واحترام مصغياً إليه، مقبلاً عليه بكليته، غير ناظر إلى يمينه أو شماله.

والمعلم: هو الأستاذ الذي يعلّم الهدى، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما دافعهم عفهولى الحقّ، وما خالفهم فهو الباطل.

أما من خالف الدين وأساء الأمانة، فهؤلاء ليس لهم في القلوب إجلال ولا في النفوس احترام لكونهم أهدروا إنسانيتهم وأسقطوا اعتبارهم بالكفر والضلال.

---

(١) مجمع الزوائد: ١٢٧/١.

وعلى الأباء أن يفهموا المراهقة التفريق بين المعلم الصالح والمعلم الذي يدسّ الأباطيل حتى لا يختلط عليها الأمر.

ويجب أن يعلمّ الآباء أبناءهم أن يقفوا في وجه كل خائن حتى تبقى العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

حق الكبير

الكبير هو من كان أكبر منك سنّاً، وأكثر علماً، وأرفع تقوى وديناً وأسمى جاهاً وكرامة ومنزلة.

فإن كانوا مخلصين لدينهم، قائمين بشريعة ربهم، فيجب على الناس أن يعرفوا فضلهم ويؤدي لهم حقهم امتثالاً لأمر النبي صلى ا لله عليه وسلم.

قال صلى ا لله عليه وسلم: «**ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا**»[1].

وقال صلى ا لله عليه وسلم: «**إن من إجلال ا لله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه (أي التارك له) وإكرام ذي السلطان المقسط (العادل)**»[2].

وقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**أنزلوا الناس منازلهم**»[3].

---

(١) مستدرك الحاكم: ٦٢/١.

(٢) سنن أبي داود: ٤٨٤٣.

(٣) سنن أبي داود: ٤٨٤٢.

فجملة هذه الأحاديث تدل: على إنـزال الكبير منزلته اللائقة بـه، كـأن يستشار في الأمور، ويقدّم في المجلس، ويُبدأ به بالضيافة.

وكذلك البدء بالأمور كلها قال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح منـاكب الصحابة ويسوّي الصفوف: (استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليليّ منكـم أو لو الأحلام والنهي (الرجال البالغون) ثم الذين يلونّهم ثم الذين يلونّهم[1]، وينبغي ألا يستخفّ الإنسان بالكبير، ولا يستهزئ بطريقـة أكلـه أو مشـيته، وأو رعشـته، ومن التوقير للكبير القيام له وتوسيع المكان.

ولا يزيد الإنسان عن الحدّ الذي أمره الإسـلام بـه لأن ذلـك خـروج عـن الشرع كالانحناء، أو الركوع أثناء التقبيل، وغير ذلك من الأمور المخالفة للإسـلام التي تعتبر اليوم أسس متينـة في مـا يسـمونها (الـبروتوكولات) أو أسـلوب التعـامل الأجنبي.

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الصلاة: ١٢٢.

الفصل الثالث

أسس التربية الجنسية التي أباحها الإسلام للمراهقة:

ولقد فكرت في هذا العنوان مليّاً بعد أن قامت حملات كثيرة تنادي بإباحة تعليم الجنس في المدارس الابتدائية، وتلقينه كأي علم أخر، ووقفت متحيرة هل نقول بإباحة تعليم الجنس، كما يفهمونه ويزيدونه ونكون قد وافقناهم على ما يدعون إليه، أو نقول بمنعه وهذا لا يتفق مع مفهوم الإسلام للتربية؟

إن ما أريد أن أقوله: أن مفهوم الإسلام للتربية الجنسية يختلف كلياً عن مناهج التربية الجنسية في المدارس.

ونحن إذ نعطي التربية الجنسية إنما نقدمها بطريقة مهذّبة لبقة ليس فيها دعوة للهياج أو لإثارة الشهوات، وهذا الأسلوب متفق مع المبادئ الإسلامية، ومساير للمفاهيم الإسلامية، وفي التربية أما أن نفضح الجنس حتى لا يبقى ستر، ولا عورة فهذا ما لا يتفق مع رسالة الإسلام، والقصد من ورائه معرفة المراهق ما يحلّ وما يحرم حتى يتجنب الانزلاق، ويعرف مواطن الحرمة وما يترتب عليها فيجتنبها.

ولقد أضحتّ الإنجازات العصرية في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية في مصطلح التيار الفوضوي المعاصر، وغِصُبَته يضادّ الحرية

الشخصية من جهة ويضادّ الاتجاهات العلميّة الحديثة، وأصبحت هذه الإنجازات هي الأصول التي تتحرك وفقها أكثر العلوم التثقيفية، وأساليب الإعلام والإعلان، ووسائل الترفيه والتسلية في أنحاء العالم هي المسيطرة شرقاً وغرباً، وهذه تفرّق بيوتنا وأسرتنا بطوفان من الإغراء واللهو، ليتزعزع العقائد والمفاهيم والثوابت الأخلاقية والتربوية، وتهزّ الصرح الشامخ بأعاصير الفتنة والضلال.

إن عدوى الجنس الهابط شوهّت معالم الحبّ العفيف بنهايته الطبيعية الحتمية، وحجمته في الإطار الضيق لمعناه المألوف المعهود.

إن العالم بأسره يعيش اليوم ثورة جنسية طاغية، حطمّت كلّ الأعراف، وهدمت صرح الأخلاق، مما جعلها قضية تهدد الكيان البشري والمجتمع الإنساني وتنذر بأوخم العواقب، وأسوأ النتائج.

حتى قيل: إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبرّ من خطر الطاقة الذرية.

إن اللواط والسحاق، والممارسات الجماعية للجنس، والزواج التجريبي، ونوادي الشذوذ والعلب الليلية، ونوادي المجون والغناء، والمغنيين والراقصات والراقصين، والمحلات الماجنة والأفلام الجنسية، والصور الخليعة، باتت السمّة المميزة للمجتمعات البشرية في شتى أنحاء الأرض.

ولقد قضت هذه الأمور أو كادت تقضي على وجود الضوابط الأخلاقية لمسيرة الحياة، وغدا الإنسان حيواناً يعيش بغرائزه، ويحيا لنزواته وأصبحت الشهوات أكبر همّه، والدنيا مبلغ علمه.

والإسلام نظمّ الطاقة الجنسية تنظيماً دقيقاً رائعاً، وذلك في عملية متوازنة تدرك أبعاد الاحتياجات والمتطلبات حفاظاً على استواء الإنسان عقلاً وروحاً وبدناً، وكائناً اجتماعياً يتفاعل مع الناس.

وحين تطغى على الإنسان شهوته، شهوة المال أو الجنس، أو القوة أو السلطان فذلك اختلال في باطن نفسه لا يسعده في الحقيقة، وإن بدا له في أول الأمر أنه مستمتع وراضٍ، إنما هو في الواقع شقوة دائمة لأنه قلقٌ على ما عنده وراغبٌ في المزيد، من أجل ذلك اعتبر الإسلام الغريزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية في هذا التركيب، ويجب أن تُنظم وتُضبط من أجل الانتفاع بها، وتحقيق مقاصدها الإنسانية، لأن اختزانها مضرّ وغير طبيعي.

وأول تلك المقاصد: عقد أواصر المحبة والمودة الرحمة بين الرجل والمرأة، وتكوين الأسرة مناط المسؤولية الاجتماعية، وإخصاب الحياة باستمرار النوع الإنساني وتكاثره واستفراغ الطاقة الجنسية في أسلوب بعيد عن البهيمية والفوضوية تحقيقاً للراحة النفسيّة والحسيّة عند الطرفين، وبذلك يظلّ الحب عنواناً مهيمناً، يسمو بروح الإنسان وجسده عن دينويّه وحيوانيّة الجنس. ولذلك نجد أحكام التربية الجنسية واضحة في القرآن بصورة تختلف عن طريق عرضها في المناهج التربوية الحديثة التي تنحرف بطريق المراهق، وتطلعه على أشياء تفجرّ عنده الشهوات في غير وقتها، مما يؤدي إلى انحرافه. ولننظر إلى الإسلام كيف يعالج الأحكام الجنسية لدى المراهق والمراهقة[1].

---

(١) الحب والجنس من منظور إسلامي، محمد علي قطب - ١١٢-١٢٦.

فالأباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يتخذوا التدابير اللازمة والأسباب الوقائية في تجنيب المراهقة الهياج الجنسي الغريزي والإثارة الفاضحة.

فقد أردف الرسول صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس يوم النحر خلفه وكان الفضل قد قارب البلوغ، فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة كانت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور دينها، فأخذ النبي بذقن الفضل، فحولّ وجهه عن النظر إليها. فقال له العباس: لويت عنق ابن عمك، فقال عليه الصلاة والسلام: «**رأيت شاباً وشابةً فلم آمن عليهما الفتنة**»[1].

وهذه لفتة تربوية كريمة من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في إصلاح الجيل وتربية الأولاد، وتقويم اعوجاج المجتمع، ويبين أيضاً مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم في توجيه الولد المراهق في كل ما يصلحه خلقياً ويضبطه غريزياً، مخافة أن يقع في الفتنة، أو يتردّى في الفساد والانحلال[2].

والمعرفة الجنسية لدى المراهقين تتم على ثلاثة مراحل.

١- تعليم الاستئذان والدخول على الآباء والأمهات.

٢- النظر وأحكام العورة بالنسبة للمحارم وغير المحارم.

٣- أحكام البلوغ والزواج.

---

(١) فتح الباري على صحيح البخاري: ٦٧/٤.

(٢) تربية الأولاد: ص٥٢٤ - ٥٢٥.

وسنترك للباب الأخير أحكام الغسل من الحيض والنفاس والجنابة والاحتلام. وحدود حجاب المرأة، ومتى ينبغي لها وضع الحجاب، وماذا يَفرض عليها الحجاب من أحكام.

المبحث الأول: الاستئذان

آداب الاستئذان: إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعلّم الإنسان آداباً وأخلاقاً تدخل معه منذ بدء تكوينه، وتترقى به حتى كهولته ومماته. وكلها داخلة في صلب الدين وأساسه.

ولننظر إلى هذه الآية الرائعة في تحديد الاستئذان في الأسرة.

قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩)**﴾ [النور: ٥٨-٥٩].

ولا يخفى أن الاستئذان المطلوب يكون في ثلاثة أحوال:

الأول: من قبل صلاة الفجر، لأن الوالدين يكونان في فراشهما.

الثاني: وقت الظهيرة، لأن الإنسان قد يضع ثيابه في هذا الوقت.

الثالث: من بعد صلاة العشاء، لأنه وقت التهيؤ للنوم.

والقصد من ذلك ألا يفاجأ الولد بالاطلاّع على حالة لا ينبغي أن يراها في هذه السن المبكرة حتى لا تختل الموازين في ذهنه باحترام الآباء والأمهات، ويُصدم بما يرى مما لا يستطيع تخيله أو معرفته.

أما آداب الاستئذان الأخرى فهي مرتبة بترتيب القرآن لها.

أ- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور -٥٩] ولا يخفى ما في هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الإسلام في تربية الولد اجتماعياً، وتكوينه خُلقياً وسلوكياً.

ب- أن يسلّم ثم يستأذن لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لرجل استأذن في الدخول إلى بيت رسول الله فقال: أألجّ؟ فقال الرسول لخادمه: «**اخرج إلى هذا فعلمّه الاستئذان. فقل له، قل: السلام عليكم. أأدخل؟**». فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل[1].

جـ - أن يعلن عنّ اسمه أو صفته أو كنيته: وهذا تعليم من جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم أسري به قال: ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح (قرع الباب) فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد...»[2].

---

(١) سنن أبي داوود: ٥١٧٧.

(٢) الدر المنثور: ٦/٢٨٤ .

د- وفي الصحيحين أيضاً أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال: «**الاستئذان ثلاث، فإن أُذن لـك وإلا فارجع**»[1]. فالاستئذان ثلاث مرات والانتظار مقدار صلاة أربع ركعات مظنّة أن يكون الإنسان في صلاة أو قضاء حاجّة أو حمام.

هـ – أن لا يدقّ الباب بعنف لما أخرج البخاري: «**أن أبواب الرسول كانت تقرع بالأصابع**». والأساس أن يقرع بحسب ما يحصل به المقصود، أما بالنسبة لجرس الباب فيقرع قرعة خفيفة.

و – أن يتحول عن الباب عند الاستئذان، مظنّة وقوف امرأة أجنبية، أو أن يتكشف على ما لا يجوز النظر إليه، وقد ورد عن الرسول صلى ا لله عليه وسلم: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»[2].

وقوله صلى ا لله عليه وسلم «**من اطلّع على بيت قوم ففقئوا عينه فلا دّية ولا قصاص**».

ل- أن يرجع إذا لم يؤذن له لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ**﴾ [النور /٢٨]

وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك غضاضة امتثالاً لأمر ا لله تعالى في الرجوع.

والإسلام قد حرص على أن يتعلم المراهق آداب الجنس متدرجاً حسب وعيه وحسب سنه ونضجه.

---

(١) فتح الباري على صحيح البخاري: ٢٨/١١

(٢) صحيح البخاري: ٦/٨ .

وهو حريصٌ على أن تظل المراهقة مثلاً للحياء المهذب، والسلوك الاجتماعي الخيّر، والأدب الإسلامي الرفيع.

لذا طلب من المراهقة أن تستأذن قبل الدخول إلى غرفة نوم الأبوين حتى لا تقع عيناها على ما لا يجوز رؤيته.

لأن الفضيحة قد تكون بالغة حين يدخل المراهق إلى غرفة النوم ويرى أبويه في اتصال جنسي، ثم يخرج وقد صدم بما رأى، أو ذهب ليحدّث أصحابه أو صويحباتها بما رأت ولتجعل منه قصة عجيبة، واستفهامات كثيرة ليس لها جواب.

وقد ينحرف المراهق عندما يرى ما فعل أبواه، ويجرب الاتصال بعد أن شاهده.

لذلك كان تعويد المراهق على آداب النظر ففي ذلك صلاح أمره واستقامة أخلاقه إذا شارف على البلوغ، وبلغ سن التكليف.

المبحث الثاني: آداب النظر

يختلف النظر بحسب درجة الحرمة والقربى.

وللنظر إلى القرآن كيف رتّبّ درجات النظر. ولا شك أن الغاية التي يهدف إليها الإسلام من غضّ البصر هو إقامة مجتمع نظيف لا تُهاج فيه الشهوات، ولا تستثار الغرائز في كل حين.

فعملية الاستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سِعَار شهوانّي لا ينطفئ ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجه والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيّج السعار الحيواني والشهواني المجنون.

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هو الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً، وبقوة الطبيعة دون استثارة مصطنعة.

لقد شاع في وقتنا الحاضر أن النظرة البريئة، والحديث الطلق، والاختلاط الميسور، والدعابة المرحة بين الجنسين، والاطلاع على مواضع الفتنة شاع أن هذا تنفيس وترويح، وإطلاق للرغبات الجنسية، ووقاية من الكبت والعقد النفسية. وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي وما وراءه من اندفاع غير مأمون. ولكن نسي هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوّي، لأن الله سبحانه وتعالى قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها، فهو ميّل دائم يسكن فترة ثم يعود، وإثارته في كل حين تزيد من قوته وتدفع إلى الإفضاء الماديّ للحصول على الراحة، فإذا لم يتم تعبت الأعصاب المستَثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة.

فالنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والنبرة المعبّرة عن هذا الميّل تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميّل في حدوده الطبيعية ثم يلبي تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع وهذا هو المنهاج

الذي اختاره الإسلام وارتضاه للجنس البشري ليتم له هدوءه النفسي، واستقراره الفكري، وراحته العصبية، ورباطه السليم الذي يربط بين سائر أبناء الإنسان[1].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفّت عن محارم الله**»[2].

وهذه الآداب من النظر مرتبةً كما يلي:

١- آداب النظر إلى المحارم: وهي كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبّدة، وكل رجل حرّم على المرأة الزواج منه حرمة مؤبّدة فهو من ذوي محارمها والمحرمات ثلاثة أنواع.

٢- محرمات بالنسب: وهن الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ، وبنات الأخت.

٣- محرمات بالمصاهرة أي الزواج: وهن: زوجة الأب، زوجة الابن وأم الزوجة، وبنت الزوجة.

٤- المحرمات بالرضاع: وهو كل ما حرم بالنسب يحرم بالرضاع.

فالمحرم الذكر يحلّ له أن يرى من محارمه النساء الصدر وما فوق وما تحت الركبتين إلى أسفل، إن أمن شهوته وشهوتها. وإن لم يأمن الشهوة لا يحلّ له النظر سدًّا للذرائع.

---

(١) في ظلال القرآن بتصرف.

(٢) مجمع الزوائد: ٢٨٨/٥.

فيباح النظر إلى الرأس والشعر والعنق والصدر والأذن والعضد والساعد والكفّ، والساق فيما تحت الركبة إلى القدم والوجه والثدي، أما البطن والظهر والفخذ فلا يحلّ له النظر إليه أبداً.

وإذا كان المحرم الذكر لا يحلّ له رؤية البطن والفخذ، فماذا نقول في أزياء هذا القرن الذي تظهر فيه البطن من وراء القمصان القصيرة أو الكساء القصير أو الشفاف الذي لا يُلبس تحته شيء. فماذا نقول فيها وما حكم لابستها؟

ويحرم على المرأة أن ترى ما بين السرة إلى الركبة من محارمها الذكور وإن أمنت الفتنة، ولو من أجل التغسيل والتدليك في الحمام.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فيحرم على البنت إذا بلغت سن المراهقة أن ترى ما بين السرة إلى الركبة من أحد محارمها، كما يحرم على الذكر أن يرى أحد محارمه النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت إلى ما فوق الركبتين، أو كشفت عن الفخذين، أو ارتدت ثوباً يصف أو يشفّ ما تحته وبدت العورة التي يحرم النظر إليها.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أدب النظر إلى المخطوبة

أجازت الشريعة للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته لقوله صلى الله عليه وسلم: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدّم بينكما**»[1].

لكن لهذا النظر آداب يجب أن يراعيها الخاطب منها:

- لا يجوز أن ينظر الخاطب إلا إلى الوجه والكفين بعد أن يعزم على الزواج منها.
- يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسيّة في الذهن.
- والأجدر وهو الأساس أن تحدثه ويحدثها في جلسة الخطوبة ليتعرف على أفكارها واتجاهاتها الفكرية ونظرتها للحياة والناس، فليس المهم أن يتعرف على صورة جامدة، إنما أن يحصل التفاهم الفكري بينهما في النظر إلى فعاليات الحياة العامة، وهذا هو بيت القصد من قوله صلى الله عليه وسلم: «**فإنه أحرى أن يؤدّم بينكما**».
- لا يجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية قبل إجراء العقد، والأجنبية يحرم مصافحتها، لما روت السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة في المبايعة قط، وإنما مبايعتها كانت كلاماً**»[2].

(١) سنن النسائي: ٦/٧٠.

(٢) سنن الترمذي: ٣٣٠٦.

- لا يجوز أن يجتمعا إلا بوجود محارم المخطوبة، لأن الإسلام يحرّم الخلوة بالأجنبية لما روى الشيخان: «**ألا لا يخلّون رجل بامرأة ولا تسافرنّ امرأة إلا ومعها ذو محرم**»[1].

وما انتشر في بعض الأوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولا قيود، وبمجرد وضع الخاتم يصبح من السهل عليه أن يقبلها ويراقصها ويخرج ليسهر معها، ولا يعيدها إلى بيتها إلا في وقت متأخر من الليل. بحجة التعرف على أخلاقه وأخلاقها. إن هذه الدعوى يرفضها الإسلام، بل يحاربها لكونها تتنافى مع أبسط مبادئ الفضيلة والأخلاق، لأن هذه الخلطة الآثمة تسيء إلى سمعة المخطوبة أكثر من أن تسيء إلى سمعة الخاطب. فقد لا يتم الزواج فتصبح الفتاة عرضة للتهمة، ومثاراً للشبهة مما يجعل الكثير في إعراض تام عن الزواج منها، ومن ناحية أخرى فإن هذه الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلف الظاهر الذي يبديه كل واحد منهما إلى الآخر، وكم سمعنا عن رجال ونساء بقوا في الخطوبة سنين فلم تمض فترة من الزمن على زواجهما وإذا بالفرقة تحدث ويقع الطلاق. فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة... ألا فليتذكر أولوا الألباب[2].

أدب النظر إلى الزوجة

يجوز للزوج أن يرى من زوجته كل شيء بشهوة أو بغير شهوة، لأنه لما جاز المسّ والجماع فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر إلى جميع بدنها من باب أولى.

---

(١) البخاري: ٧٢/٤ .

(٢) تربية الأولاد في الإسلام: ٥٠٥/١.

وإن كان الأفضل **ألا ينظر أحدهم إلى عورة صاحبه** لحديث عائشة: «**قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرَ مني، ولم أر منه**»[1]. تقصد العورة.

والأصل في هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: قالوا: «**يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمنك**»[2].

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥)إلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦)**﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

أدب النظر إلى الرجل الأجنبي

الرجل الأجنبي هو من يحلّ للمرأة للزواج منه كابن عمّها، وابن عمتها، وابن خالها، وابن خالتها، وزوج أختها، وزوج خالتها.

والمرأة الأجنبية: هي من يحلّ الزواج منها، كابنة عمه، وابنة عمته، وابنة خاله، وابنة خالته، وزوجة أخيه، وزوجة عمه، وزوجة خاله وأخت زوجته وعمتها وخالتها.

والصبي الصغير الذي يستطيع أن يفرّق بين النساء إن كانت جميلة أو غير جميلة، فلا يجوز لأحدهما النظر إلى المرأة الأجنبية.

---

(١) فتح القدير: ٨ كتاب الحظر، فصل النظر.

(٢) مستدرك الحاكم: ١٨٠/٤.

والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ [النور، ٣١].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**النظرة سهم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**».

وروى الحاكم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اضمنوا لي ستاً اضمن لكم الجنّة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديَكم**»(١).

وروى البخاري: «**كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لا محالة. العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناهما البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدّق ذلك كلّه أو يكذبه**»(٢).

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً تاماً لا يقبل الجدل أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية وأن نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي حرام أيضاً إذا كانا في مجلس واحد وترتب على النظر فتنة.

وقد روت أم سلمة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**احتجبا منه**» فقلنا يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا

(١) مستدرك الحاكم: ٣٥٩/٤.

(٢) مستدرك الحاكم: ٥٥/١.

ولا يعرفنا. فقال النبي صلى ا لله عليه وسلم: _«**أفعميناوان أنتما ألستما تبصرانه؟**»[1].

وصدق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار، عين حرست في سبيل ا لله، وعين بكت من خشية ا لله، وعين كفتّ عن محارم ا لله**»[2].

أدب نظر المرأة للمرأة

لا يجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة إلا ما بين سرتها إلى الركبة سواء كانت المرأة المنظورة قريبة أم بعيدة.

وكما لا يحلّ النظر للعورة، كذلك لا يحلّ أن تصف مسلمة لأخيها أو زوجها أو ابنها وتظهر محاسنها له كأنما ينظر إليها.

يقول صلى ا لله عليه وسلم: «**لا تباشر المرأة المرأة، ثم تأتي تصفّها لزوجها كأنما ينظر إليها**»[3]. والمباشرة هنا تعني الجلوس معاً.

وقد أجمع الفقهاء أن "الفخذ من العورة" لقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**غطّ فخذك فإن الفخذ عورة**»[4].

---

(١) سنن أبي داود (٤١١٢).

(٢) مجمع الزوائد: ٥/٢٨٨.

(٣) مجمع الزوائد: ٨/١٠٢.

(٤) مستدرك الحاكم: ٣/٦٣٧.

وفي صحيح مسلم: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة**»[1].

والعورة عورتان: عورة مغلظة وعورة مخففة.

فأما العورة المغلظة فهي السوأتان: (القُبُل والدبر)

والعورة المخففة، وهي ما بين السرة إلى الركبة.

فالعورة المغلظة إذا كشفت في الصلاة تعاد مطلقاً سواء خرج وقتها أم لم يخرج.

وأما العورة المخففة فإذا كشفت في الصلاة تُعاد في الوقت فقط، أما إذا خرج وقتها فلا تعاد.

وبناء على هذه النصوص يحرم على المرأة أن تنظر إلى فخذ ابنتها أو أختها أو أمها، أو جارتها أو صديقتها، لا في حمام ولا في غيره.

والحكمة من هذا لتكون المرأة مصونة من منظر فيه فتنة.

وقد روى النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته (زوجته) الحمام**»[2]. ويقصد الحمام العام الذي تتكشف فيه العورات، والعرّي والمفاسد كما هو شائع في أوساطنا الاجتماعية. ومثلها المسابح النسائية فإن كانت المرأة حريصة على تغطية فخذها، فإنها ترى غيرها ممن لا يلتزم بهذا الأمر. هذا فيما يختص بمسابح النساء، فكيف

(١) صحيح مسلم: الحيض: ١٧.

(٢) مجمع الزوائد: ١/٢٧٧.

بنسائنا وبناتنا يتكشفن في المسابح المختلطة ويتمايلن أما الرجال الذين لا تشبع أعينهم ولا تتوقف شهواتهم.

وقد روى الطبراني أن نساء حمص دخلنّ على عائشة رضي الله عنها فقالت: «ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها، إلا هتكت الستر بينها وبين ربها»[1].

أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة

يحرم على المرأة أن تكشف شيئاً من مفاتنها أمام امرأة كافرة إلا ما يبدو عند المهنة أي الخدمة كاليدين والوجه والرجلين. لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾.

قال الدسوقي: فعورة المرأة المسلمة مع الحرّة الكافرة ما عدا الوجه والكفين والحكمة لئلا تصفها لوجها الكافر، فالتحريم لعارض لا لكونها عورة.

ولا ينبغي للمرأة الصالحة أن تكشف مفاتن جسمها أمام امرأة مسلمة فاجرة حتى لا تّصف محاسنها عند الرجال، فلا تضع جلبابها ولا خمارها.

يقول أبو الأعلى المودودي:

فليست العبرة في هذا الشأن بالاختلاف الديني بل هي بالاختلاف الخلقي فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولا تحرج أمام النساء الكريمات

---

(١) مجمع الزوائد: ٢٧٨/١.

المنتميات إلى البيوت المعروفة الجديرة بالاعتماد على أخلاق أهلها سواء أكن مسلمات أو غير مسلمات.

وأما الفاسقات اللاتي لا حياء عندهن ولا يعتمد على أخلاقهن وآدابهن فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة، ولو كنّ مسلمات لأن صحبتهن لا تقل عن صحبة الرجال حذراً على أخلاقها.

على كل حال: إن على المرأة المسلمة أن تحتاط لدينها وسمعتها مخافة التأثر بأخلاق غير دينها أو بأخلاق مسلمات مستهترات لا يرعيّن شرفاً ولا حرمة.

أدب النظر إلى الأمرد

الأمرد هو الشاب الذي لم تنبت لحيته، وهو الذي يتراوح عمره بين ١٠- ١٥ عاماً، والنظر إلى الأمرد جائز إذا كان لضرورة كالبيع والشراء ونحوها من مواضع الحاجة.

ولقد بالغ السلف الصالح في الإعراض عن المُرد الحسان والنظر إليهن ومجالستهم.

قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء، فإن لهم صوراً كصور العذارى، وهم أشدّ فتنة من النساء.

وجاء رجل إلى الإمام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له: من هذا؟

قال: ابن أختي، قال: لا تجيء به إلينا مرة أخرى، ولا تمش معه بطريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ويعرفه بسوء.

وقال سعيد بن المسيب: "إذا رأيتم الرجل يحدّ النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه، والفتاة الصغيرة الجميلة ينطبق عليها هذا الأمر. وأرى عدم تركها للأسواق والشوارع حتى لا يراها من لا يخاف الله تعالى، فيتحرش بها وذلك من باب سدّ الذرائع، وحسماً لمادة الفساد.

ولقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب بنفي جعدة السلمي لأنه كان يخرج مع النساء إلى البقيع، ويتحدث إليهن.

كما حلق رأس نصر بن حجاج، ونفاه عن المدينة لتعلق النساء به لجمال وجهه[1].

والمسلم التقي الورع هو الذي يحتاط دائماً لدينه وخلقه وسمعته ويتقي بحذر مواطن التهم.

نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي

يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر إلى الرجال وهم يمشون في الطرقات، أو هم يلعبون ألعاباً غير محرمة، أو هم يتعاطون البيع والشراء أو غير ذلك.

وذلك أن عائشة رضي الله عنها نظرت إلى الحبشة وهم يلعبون في حرابهم في المسجد يوم العيد[2]، أما أمره صلى الله عليه وسلم أم سلمة، وميمونة بالاحتجاب من ابن أم مكتوم، فلأنه معهما في مجلس واحد، وتحديق بصرهنّ إليه مقابلة ومواجهة مما يخاف منه الفتنة.

---

(١) الطرق الحكمية للسياسة الشرعية: ص٢٦.

(٢) صحيح البخاري: ٢٤١/٦.

ونظر المرأة إلى الرجل الأجنبي جائز بوجهين.

١- أن لا يترتب على النظر ما يخشى منه الفتنة.

٢- أن لا يكون التحديق في مجلس واحد مواجهة ومقابلة.

أدب النظر إلى عورة الصغير

قال الفقهاء: الصغير سواء كان ذكراً أو أنثى فلا عورة له، إذا كان ابن أربع سنين فما دونها، ثم إذا زاد على الأربع فعورته القُبل والدُبر وما حولهما، حتى إذا بلغ حدّ الشهوة صارت عورته كعورة البالغ وكلما عودناه الستر وهو صغير كان أفضل.

حالات ضرورية يباح فيها النظر

أباح الفقهاء النظر إلى وجه المرأة في حالات الضرورة منها:

١- النظر بقصد الخطبة، وقد مرّ معنا قوله صلى الله عليه وسلم: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**».

٢- النظر بقصد التعليم بشرط أن تكون المرأة من غير زينة، وأن يكون العلم الذي تتعلمه معتبراً شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا، وأن يكون في حدود ما سمح به الشرع للمرأة من العلم والعمل، كالطبيبة والممرضة والمعلمة والفقهية. وأن لا يترتب على التعليم خلوة، وأن لا يوجد نساء يقمن بالتعليم مقام الرجال.

٣- النظر بقصد المداواة، وموضع الحاجة، وبشرط أن يكـون الطبيـب أميناً عـدلاً تقياً، وأن تكون المعالجة بوجود محرم، وأن لا تتكشف على طبيـب كـافر مـع وجود الطبيب المسلم، ولا على طبيب مسلم مع وجود طبيبة مسلمة.

٤- النظر بقصد الشهادة والمحاكمة حتى لا تضيع الحقوق، خاصة وأن المتنقبة غـير معروفة لدى القاضي، ولدى الشاهد، لأن في ذلك إحقاق للحق ودفع للظلم.

كل هذه الآداب من النظر يجب على الأباء والأمهـات والمربين أن يعطـوا لأبنائهم ولبناتهم القدوة العملية فيها، ثم يلقنوّها أبناءهم تعليمـاً وتوعيـة إن أرادوا لهم الخلـق الفـاضل، والشـخصية الإسـلامية المتميزة، والسـلوك الاجتمـاعي الخـيّر والتربية الإسلامية السامية، وا لله سبحانه لن ينقصهم أجورهـم وثوابهـم في يـوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

الفصل الرابع

الأحكام الفقهية للمراهقة

من مسؤولية التربية على الأمّ أن تعلّم المراهقة قبل بلوغها أحكاماً فقهية ضرورية بحياتها العملية والدينية.

فكما استطعنا أن نخوض إلى نفس المراهقة، ونعالجها بشكل إسلامي ليس فيه عقد ولا خوف وإنما ثقة بالله تعالى فينبغي أن نعرّفها على الأحكام التي ستتعرض لها.

وأول هذه الأحكام تعريفها بأحكام البلوغ الفقهية - أحكام الطهارة - والغسل بعد الانتهاء من الحيض - أنواع الدماء عند المرأة - أحكام الودي والمذي والمني.

حكم حجاب المرأة عند بلوغها وتحديده.

المبحث الأول

إن نظرة الإسلام إلى الجنس قائمة على إدراك فطرة الإنسان ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله وبذلك يسير الفرد على مقتضى المنهج القويم السوّي الذي رسمه الإسلام ألا وهو الزواج وصدق الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وقد حرّم الإسلام العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة لا سيما إذا كان قادراً على الزواج متيسراً له أسبابه ووسائله، ولقد حارب الإسلام بشدة الرهبانية لكونها تتعارض مع فطرة الإنسان، وتصطدم مع غرائزه وميوله، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كان موسراً لأن ينكح، ثم لم ينكح فليس مني**»[١].

ونظرة الإسلام إلى الجنس باعتباره تصريف الشهوة بالحلال، وإشباع الغريزة بالزواج، من الأعمال الصالحة التي تستحق الأجرّ والثواب من الله تعالى.

روى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل فقيل له: «**أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر**»[٢].

وفي هذا ردّ على من يتهم الإسلام بالكبت الجنسي هذه الحقائق في نظرة الإسلام إلى الجنس وموقفه الصريح من الزواج.

ومن هنا وجب توضيح مفهوم أصبح مسيطراً على أفهام الناس: أن الزواج والأسرة وقضاء الشهوة كافية في نظر الإسلام، وهذا خطأ في مفهوم الأصلي لوجود الإنسان في هذه الدنيا، والله تعالى وإن أمر بالزواج لإشباع الشهوة، وتصريفها بالحلال إلا أن واجبات الزواج يجب ألا تعقده عن واجبات

---

(١) مجمع الزوائد: ٤/٢٥١.

(٢) صحيح مسلم: من حديث طويل: ٥٣.

الدعوة إلى الله تعالى، والمهمات الجهادية، ونصرة الإسلام بكل ما أوتي من علم وقوة وعقل، فالإسلام الذي أنتج هذا الإنسان القوي طلب منه أن يؤدي واجباته بتوازن، دون أن يغلبّ حقاً على حق، أو واجباً على واجب، فإذا تعارضت مصلحة الزواج والدعوة إلى الله مع دعوة المعاش والزوجة والولد، فيجب أن يغلبّ مصلحة الجهاد والدعوة على كل مصلحة دنيوية، ومنفعة شخصية، ومشاعر أسريّة لأن إقامة المجتمع الإسلامي، وتثبيت دعائم الدولة الإسلامية، وهداية الإنسانية التائهة هي غاية الغايات، بل هي أسمى الأهداف في نظر الإسلام، ولنا في الصحابة خير مثال.

فهذا حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت أبيّ ليلة الجمعة، وفي صبيحة الزواج نادى منادي للجهاد، فما أن سمعها حنظلة حتى أخذ سيفه ولبس درعه، وامتطى جواده، ثم سار إلى القتال في غزوة أحد. فلما بدأت الحرب قاتل حتى انكشف المسلمون، فأخذ حنظلة يقاتل وهو يمرّ بينه وبين صفوف المشركين حتى وجد أبا سفيان، فهجم عليه. فوقع أبو سفيان وهو يصيح مستنجداً بقريش، فسمع الصوت رجال فهجموا عليه وضربوه حتى قتلوه، واستشهد رضي الله عنه، وسمع الرسول بمقتله فقال: «**لقد رأيت الملائكة تغسلّه بين السماء والأرض بماء المزن (المطر) في صحاف الفضة. ويسرع الصحابة إلى حنظلة فإذا رأسه يقطر ماءً، فأرسلوا إلى امرأته يسألونها، فأخبرتهم أنه خرج جُنباً ولم يغتسل فغسلته الملائكة**»[1].

(١) مسند أحمد: ١٧٥/٢.

وأمثال حنظلة كثير في الإسلام. لأن تقديم حبّ الله، وحبّ رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وحبّ الجهاد في سبيله، وحبّ الدعوة إلى الله على كل غالٍ ورخيص في الحياة، فإن الله سبحانه وتعالى يمكنّ لهم في الأرض، ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً، ومن بعد ضعفهم قوة، وتصبح الدنيا تحت سلطانهم، والإنسانية كلها منقادة لأمرهم ونهيهم. وإن لم يفعلوا فليتربصّوا حتى يأتيّ الله بأمره، وينزل بهم الفتنة والعذاب، والله لا يهدي القوم الخارجين عن طاعته الحائدين عن هديه وصراطه.

ويجب ألا تغفل المرأة دورها في واجب الدعوة والجهاد، فالإسلام كلفّها بمهمة الخروج إلى الجهاد إذا دعت الحاجة والضرورة.

وقد وقفت المرأة المسلمة فيما مضى إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تقاتل بالسيف دونهم، وتسعف الجرحى، وترعى المرضى، وتنقل القتلى وتصنع الطعام.

عن الربيع بنت معوّذ قالت: «**كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونرّد الجرحى والقتلى في المدينة**»[1]. وفي رواية أمّ عطية الأنصارية، قالت: «**غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوات أخلفهم في رحالهم، أصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى، وأقوم على الزمنى (المرضى)**»[2].

وروى ابن هشام أن أم سعد بنت سعد بن الربيع: «**دخلتُ على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك في غزوة أحد فقالت: خرجت أول**

(١) مسند أحمد: ٣٥٨/٦

(٢) سنن أبي داود: ٣٨١٢.

النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدّولة (النصر) للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال، وأذّب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلُصت الجراح إليّ»(١).

وروى ابن هشام أيضاً: أن صفية بنت عبد المطلب عمّة الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأت يهودياً في الحصن الذي فيه النساء، شدّت وسطها وأخذت عموداً ثم نزلت من الحصن فضربته حتى قتلته.

وأما واجبها في الدعوة إلى الله فهو كالرجل تماماً قال تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٧١].

وللزواج فوائد كثيرة

منها المحافظة على الإنسان **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾** [النمل: ٣٢].

ومنها المنع من الانحلال الخلقي: لقوله صلى الله عليه وسلم: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»**(٢).

(١) عيون الأثر لابن سيّد الناس: ٤١٨/١.

(٢) رواه الجماعة. مجمع الزوائد: ٢٥٢/٤.

ومنها تعاون الزوجين على مسؤولية البيت قال صلى الله عليه وسلم: «**الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**»[1].

ومنها أيضاً البعد عن الآفات الأمراض.

ومنها السكن الروحي والنفسي: ﴿**وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم: ٢١].

ومنها إنجاب الذريّة الصالحة، قال عليه الصلاة والسلام: «**تناكحوا تناسلوا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»[2].

ولا بد إذا كان الأب ميسوراً أن يساعد ابنه في الإنفاق للزواج حتى يمنعه من الوقوع في الفاحشة.

وإذا جاء للفتاة الرجل المناسب الورع التقي، فلا تؤخر الفتاة من الزواج انتظاراً للأغنى.

وفي هذا قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجه، إن لم تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير**»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**خير النساء من إذا نظرت إليها سرّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وعرضك**»[4].

---

(١) مجمع الزوائد: ٢٠٧/٥.

(٢) كشف الخفا: ٣٨٠/١ .

(٣) سنن الترمذي: ١٠٨٠.

(٤) مستدرك الحاكم: ١٦١/٢.

المبحث الثاني:

علامات البلوغ عند المرأة

إن من علامات البلوغ عند المرأة دم الحيض، وهو دليل على تمام تكوين البيوضة عند المرأة واستعدادها للزواج والحمل والإنجاب أو ترى الاحتلام بدفق الماء الثخين الغليظ فتكون بذلك في حكم البالغة وهذا الماء الذي تراه هو في حكم احتلام الفتى يوجب الغسل وغسل الفرج قبله والوضوء كما سنرى لاحقاً في أحكامه.

وقد تتساءل بعضكن: هل المرأة تحتلم؟ والجواب نعم، فقد سألته أم سلمة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهل ترى المرأة الماء؟ أي ماء الاحتلام، فأجابها الرسول صلى الله عليه وسلم: «**نعم، فمن أين يكون الشبه**»[1]. أي شبه الولد أو الفتاة بأمها...

فما هي أنواع الدماء التي تراها المرأة، وأنواع المياه، وأحكامها الفقهية المترتبة عليها.

١- أنواع المياه التي تراها المرأة، أو لنسيمها تسميتها الفقهية: أنواع النجاسات وسبب ذلك أن هذه المياه نجسة، ما عدا المني فإنه طاهر لكن يجب الغسل منه.

٢- الودي: وهو ماء أبيض كدر ثخين له رائحة، يخرج عقب البول أو عند حمل شيء ثقيل، وهو نجس لأنه يخرج مع البول أو بعده، فيكون له حكمه.

(١) البخاري بما سنه السندي: ٥٩/١.

٣- المذي: هو ماء أبيض رقيق يخرج عند ثوران الشهوة أو رؤية أفلام جنس، أو تذكر الجماع، وهو بلا دفق، وهو نجس، لقول علي قال: كنت رجلاً مذّاء، فذكرت ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «**اغسل مذاكيرك وتوضأ وضوءك للصلاة**»(١).

فالودي فيه الوضوء، والمذي فيه الوضوء أيضاً.

أما المني، فقد اختلف في نجاسته والأصح أنه غير نجس، لأنه أصل الإنسان والإنسان المسلم طاهر لا ينجس، أما مني الحيوانات فهو نجس عند الحنفية والمالكية، طاهر عند الحنابلة إن كان مأكول اللحم.

والأصل فيه أن يطهر مكانه بالغسل إن كان رطباً، أو بالفرك إن كان يابساً لقول السيدة عائشة: «**كنت أفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يابساً، وأغسله إذا كان رطباً**»(٢).

وقد قال ابن عباس فيه: «**امسحه عنك بإذخرة (ليفة) أو خرقة، فإنما هو بمنزلة المخاط والبصاق**»(٣).

ويختلف عن المذي بأنه بدء خلق آدمي.

والحكم بطهارة المني مشروط بألا يسبقه المذي الذي يخرج عند ثوران الشهوة، وبأن يكون الفرج مغسولاً مسبقاً بالماء، فإن كان مختلطاً بالبول فيحكم بنجاسته بسبب مخالطته البول.

---

(١) نصب الراية: ٩٤/١.

(٢) نصب الراية: ٢٠٩/١.

(٣) الدارقطني: حديث مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١٣١/١ (٤٤١).

والمني: هو أبيض ثخين لـه رائحـة كريهـة يكـون حالـة الجمـاع أو الاحتلام أو الاستمناء[1].

وأما الملابس التي تحتك بالجسـم وتتلـوث بـالودي والمـذي فيجـب خلعها عند الصلاة وغسلها لأنها نجست بالودي، ولذلك أنصح المراهقـات باستعمال المناشف التي تحجب النجاسة عن الملابس مع خروج هذه المياه.

أنواع الدماء

الدماء التي تخـرج مـن فـروج النسـاء ثلاثـة: دم حيـض، ودم نفـاس، ودم استحاضة.

أما دم الحيض: فهو الدم الخارج في حالة الصحة من أقصى رحم المرأة من غير ولادة، ولا مرض، في أمد معين، ولونه عادة السواد، وهو شديد الحرارة لـذاع محرق موجع مؤلم، كريه الرائحة.

والأصل فيه: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُـلْ هُـوَ أَذًى فَـاعْتَزِلُوا النِّسَـاءَ فِي الْمَحِيضِ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] وفي حديـث الرسـول صلى الله عليـه وسـلم عـن الحيض «**هذا شيء كتبه الله على بنات أدم**»[2].

ووقته من بلوغ الأنثى تسع سنين قمرية، أي ثلاث مئة وأربعـة وخمسـون يوماً وخمس يوم وسدسه، إلى سن اليأس، فإن رأت الـدم قبـل هـذه السـن أو بعـد سن اليأس، فهو دم فاسد أو نزيف.

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته: ٣٠٤/١، ٣٥١/١.

(٢) البخاري بما سنه السندي: ٦٣/١.

وتصبح الأنثى برؤية الحيض بالغة مكلفة مطالبة بجميع التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وحج ونحوها، كما أن الولد يبلغ بالاحتلام بخروج المني ويحصل البلوغ باستكمال سن الخامسة عشرة، إذا لم يحصل الاحتلام أو الحيض واختلف الفقهاء في تحديد سن اليأس عند المرأة لعدم النص فيه، ولأن النساء يختلف عندهم اليأس حسب الظروف النفسية والأحوال البيئية.

وحدّد الحنفية سن اليأس بخمسة وخمسين، فإن رأت بعدها دماً أحمراً قانياً أو أسوداً قويّا فهو حيض. وقالت الشافعية: لا آخر لسن اليأس، لكن غالبه اثنان وستون سنة[1].

هل تحيض الحامل؟

الأغلب أن الحامل لا تحيض، ولو قبل خروج أكثر الولد، أما عند الحنابلة، فما تراه قبل ولادتها بيوم أو يومين يعتبر دم نفاس.

.ودليلهم: أمر سول ا الله صلى ا الله عليه وسلم ابن عمر بمراجعة زوجته لما طلقها وهي حائض: «**وقال ليطلقّها طاهراً أو حاملاً**»[2].

فجعل الحمل علماً على عدم الحيض، كما جعل الطهر علماً على انتهاء الحيض، ولأنه زمن لا تعتاد المرأة فيه الحيض غالباً، فلم يكن ما تراه فيه حيضاً كالآيسة والطب يؤيد هذا الواقع الذي نقول به.

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته: ١/٦١٠-٦١٢.

(٢) نيل الأوطار: ٦-٢٢١.

وعليه: لا تترك الحامل الصلاة لما تراه من الدمّ، لأنـه دم فسـاد لا حيض، كمـا لا تـترك الصـوم ولا الاعتكـاف والطـواف ونحوهـا مـن العبـادات، ولا يمنـع زوجها من وطئها، لأنها ليست حائضاً، وتغتسل الحامل إذا رأت دماً زمـن حملهـا عند انقطاع استحباباً خروجاً من الخلاف.

ألوان الدم

دم الحيض باتفاق الفقهاء: إما أسود أو أحمر أو أصفـر أو كـدر (متوسـط بين السواد والبياض) وليسـت الصفـرة والكـدرة بعـد الحيـض حيضـاً، ولا يُعـرف انقطاعه إلا برؤية بياض خالص، وهو شيء يشبه المخاط يخرج عند انتهاء الحيـض، أو بالقطن الذي تختبر المرأة فيه نفسها إذا خرج أبيض فقد طهرت، والخضـرة نـوع من الكدرة، وتظهر في المرأة ذات العادة الشهرية بسبب غذاء فاسـد أفسـد صـورة دمها، كما أن الكبيرة الأيسة لا ترى غير الخضرة.

ورتب الشافعية ألوان الحيض فقالوا: الألوان خمسة: السواد ثم الحمرة، ثم الترابي، ثم الصفرة، ثم الكدرة.

وصفات دم الحيض أربعة: الثخين المنتن، ثم المنـتن، ثـم الثخـين، ثـم غـير الثخين ثم غير المنتن.

ولقد كانت النسـاء يـأتين إلى عائشـة بالكرسـف (القطـن) وفيـه الصفـرة والكدرة من دم الحيض، فتقول «**لا تعجلن حتى تريـن القصّـة البيضـاء**»[1]. تريـد

---

(١) البخاري بحاشية السندي: ٦٧/١.

بذلك الطهر من الحيض وقول أم عطية: «**كنا لا نعدّ الصفرة والكدرة بعد الطهر شيئاً**»[1].

مدة الحيض والطهر

لا يكون الحيض حيضاً إلا إذا تقدمته أيام طهر وهي خمسة عشر يوماً عند جمهور الفقهاء وأن يبلغ أقل مدة الحيض، وما نقص عن مدة الحيض أو زاد على أكثرها فهو استحاضة ويرى الحنفية أن أقل الحيض ثلاثة أيام ولياليها وما نقص عن ذلك فليس بحيض إنما هو استحاضة. وأوسطه خمسة أيام، وأكثره عشرة أيام ولياليها وما زاد فهو استحاضة.

ويرى المالكية أن لا حدّ لأقل مدّة الحيض، فأقله دفقة أو دفقتان ثم تغتسل بعده وتصلي، ويبطل صومها وتقضي ذلك اليوم، أما بالنسبة للعدّة والاستبراء فأقلّه يوم أو بعض يوم.

وأكثر الحيض تختلف باختلاف النساء، وهن أربع مبتدأة، ومعتادة وحامل ومختلطة.

فأما المبتدئة: أي التي ابتدأت بالحيض لأول مرة فيقدر بخمسة عشر يوماً وما زاد فهو دم علّة وفساد.

وأما المعتادة: وهي التي اعتادت على الحيض فيقدر بأكثر من ثلاثة أيام إذا اعتادت ذلك، والعادة تقدر بمرة واحدة.

(١) مستدرك الحاكم: ١٧٤.

وأما الحامل: فيما بعد شهرين من بدء الحمل، فيقدر أكثر الحيض بعشرين يوماً. وما بعد ستة أشهر فأكثر فيقدر له ثلاثون يوماً.

وما المختلطة:

وهي التي ترى الدمّ يوماً أو أياماً، والطهر يوماً أو أياماً ثم يعود الحيض حتى لا يحصل لها حيض كامل أو طهر كامل. وحكمها أنها تضمّ أيام الدمّ بعضها لبعض، وتحتسب عدتها من الحيض وأكثرها خمسة عشرة يوماً، وتلغي أيام الطهر بينها فلا تحسبها، فما زاد عن مدة أكثر الحيض يكون استحاضة.

وتغتسل في كل يوم لا ترى فيه الدم، رجاء أن يكون طهراً كاملاً.

وتكون حائضاً في كل يوم ترى فيه الدم، وتجتنب ما تجتنبه الحائض.

ويتميز دم الحيض عن دم الاستحاضة بلونه وشدته ورائحته الكريهة.

ولا ضابط له لغة وشرعاً، وإنما تتبع أحوال النساء، ولذا يكون المعتمد هو العرف والعادة، يؤيد ذلك قول سيدنا علي: «**أقلّ الحيض يوم وليلة وما زاد على خمسة عشر استحاضة**».

أقل الطهر

قال الجمهور: أقل الطهر الفاصل بين الحيضتين خمسة عشر يوماً، لأن الشهر غالباً لا يخلو من حيض ومن طهر، ولا حدّ لأكثره فقد يمتد سنة أو سنتين، وقد لا تحيض المرأة أصلاً، وقد تحيض في السنة مرة واحدة.

وقال الحنابلة: أقلّ الطهر بين الحيضتين ثلاثة عشر يوماً، ولا حدّ لأكثره والطهر: هو زمان نقاء المرأة من دم الحيض والنفاس، وللطهر علامتان جفاف الدم، والقصّة البيضاء وهي ماء أبيض رقيق يأتي في آخر الحيض.

النفاس:

عند الحنفية والشافعية: هو الدم الخارج عقب الولادة، أما الخارج مع الولد حال الولادة أو قبلها فهو دم فاسد واستحاضة.

وأضاف الحنفية: أن النفاس عندهم هو الدم الخارج بسبب الولادة.

وكذلك الدم النازل قبل الولادة مع أمارة كالطلق، والدم الخارج بعد الولادة هو دم نفاس عندهم.

ويعدّ الدم دمّ نفاس بخروج أكثر الولد، ولو متقطعاً، ولو سقطاً (لم يكتمل) استبان فيه بعض خلقة الإنسان كإصبع أو ظفر، ولو بين توأمين. وما يخرج بعد أن ألقت علقة أو نطفة من دم فليس بنفاس (كأن تلقيه في الشهر الأول أو الثاني).

مدة النفاس

للنفاس مدة قصوى ومدة دنيا.

أما المدة الدنيا: أقلّه لحظة واحدة وقال الأئمة لا جدّلاً قلّه لأنه لم يرد في الشرع تحديده، فيرجع فيه إلى الوجود الفعلي، وقد وجد قليلاً وكثيراً.

وقد تلد المرأة ولا ترى الدم،وقد حدث ذلك في عهد الرسول صلى ا لله عليه وسلم فسميت "ذات الجفوف" وغالبه عند الشافعية: أربعون يوماً. وأكثره عن المالكية والشافعية ستون يوماً، والمعتمد هو الاستقراء: أي تتبع حال المرأة. فهي أعرف بنفسها، وأكثره عند المالكية والشافعية ستون يوماً. ولدليلهم قول أم سلمة: «**كانت النفساء تجلس على عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أربعين يوماً وأربعين ليلة**»(١).

أحكام الحيض والنفاس

للحيض أحكام خمسة وهي ما يلي:

١- الحيض ومثله النفاس يوجب الغسل بعد انقطاعه. لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ولقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي**»(٢).

٢- البلوغ: تبلغ الأنثى وتصبح أهلاً للتكاليف الشرعية، ووجب عليها أن تستر لقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**لا يقبل ا لله صلاة حائض إلا بخمار**»(٣). فأوجب عليها الستر لأجل الحيض فدّل على أن التكليف حصل به.

---

(١) نيل الأوطار: ٢٨٢/١.

(٢) نيل الأوطار: ٥٦٨/١.

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي: ٦٦/١.

٣- الحكم ببراءة الرحمن في الاعتداد بالحيض، ومن المعلوم أن الأصل في مشروعية العدّة العلم ببراءة الرحم.

٤- الاعتداد بالحيض لمن طلقت وأرادت العدّة، أو من مات عنها زوجها فتعتد بالحيض وذلك لمن قال إن "القرء" هو الحيض، ولا تنتهي عدّة المطلقة الحامل إلا بوضع الحمل، أو غير الحامل بانتهاء الحيضة الثالثة. ولا تحتسب الحيضة التي وقع الطلاق في أثنائها.

٥- إذا وطء الزوج زوجته أثناء حيضها وجبت الكفارة عليه، والكفارة عليها أيضاً إن طاوعته.

ما يحرم بالحيض والنفاس والجنابة

١- الصلوات كلها، وسجود التلاوة، ومسّ المصحف، ودخول المسجد، والطواف والاعتكاف، وقراءة القرآن، وأجاز المالكية قراءة القرآن عن ظهر قلب.

عيباً بعد انقطاع الدم وقبل الغسل، سواء كانت جنباً حال حيضها أو نفاسها أم لا، وتحرم عند الحنفية إلى جانب ذلك للحائض والنفساء دون الجنب، الصيام والطلاق والجماع قبل انقطاع الدم، والجماع بما دون الفرج قبل انقطاع الدم، والجماع بعد انقطاع الدم، وقبل الاغتسال.

وذلك لأن الحيض والنفاس يوجب الطهارة، وما أوجب الطهارة منع صحتها، أما في الجنابة فيجوز الغسل لجنابة، والإحرام ودخول مكة. وأما الصلاة فلقول عائشة رضي الله عنها: «**كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه**

وسلم فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[1]. ولأنه يشق تكرار الصلاة لطول فترة الحيض.

وأما الصوم فيحرم على الحائض والنفساء لحديث عائشة السابق، لكن لا يسقط قضاؤه فتقضي الحائض والنفساء الصوم دون الصلاة، ولأن الصوم في السنة مرة فلا يشقّ قضاؤه، وقد قال صلى ا لله عليه وسلم للنساء: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى قال: فذلكن من نقصن عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال فذلكن من نقصان دينها**»[2].

وأما حرمة الطواف عليها لقوله صلى ا لله عليه وسلم لعائشة رضي ا لله عنها: «**إذا حضرت، افعلي ما يفعل الحاجّ غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري**»[3].

وقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن**»[4]. واستثنى الشافعية حالة الخوف على القرآن من غرق أو حرق أو نجاسة، أو وقوعه في يد كافر، فيجب حمله حينئذ كما يجوز حمله إذاً في تفسير أكثر منه يقيناً، وذلك باتفاق العلماء.

٢- دخول المسجد واللبث والاعتكاف فيه، ولو بوضوء لقوله صلى ا لله عليه وسلم: «**لا أحلّ المسجد لحائض. ولا جنب**»(٥).

---

(١) نيل الأوطار: ٢٨٠/١ برواية الجماعة.

(٢) المصدر السابق: ٢٧٩/١ برواية البخاري ومسلم.

(٣) متفق عليه نصب الراية: ١٩٧/١

(٤) نصب الراية: ١٩٥/١ وهو ضعيف.

(٥) رواه أبو داود: ٢٧٧/١ نيل الأوطار.

٣- الوطء أي الجماع، **ولـو بحـائل** باتفـاق العلمـاء والاستمتاع مـا بـين السرة والركبة عند الجمهـور غـير الحنابلـة، لقولـه تعـالى: ﴿**فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ [البقـرة: ٢٢٢] والمـراد بـالاعتزال تـرك الوطء، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لّما سئل مـا يحـلّ ليـم مـن امرأتـي وهي حائض؟ قال: «**لك مـا فـوق الإزار**»(١). ولأن الاستمتاع بما تحـت الإزار يدعوا إلى الجماع.

وأباح الحنابلة الاستمتاع بالحائض بما دون السرة وفوق الركبـة إلا الـوطء بالفرج لقوله صلى الله عليه وسلم: «**اصنعوا كل شيء إلا النكاح**»(٢).

وتستمر الحرمـة حتـى تغتسـل ولـو انقطـع الـدم، لقولـه تعـالى: ﴿**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**﴾، أي اغتسلن بالماء ﴿**فَأْتُوهُنَّ**﴾ فتصير إباحة الوطء موقوفة على الغسل.

كفارة وطء الحائض

يرى المالكية والحنفية والشافعية: أنه لا كفارة على من وطـئ حائضاً بـل الواجب عليـه الاستغفار والتوبـة، وحديـث الكفـارة مضطـرب، لأنـه وطء محـرّم للأذى فلم تتعلق به الكفارة، كالوطء في الدبر.

وقال الحنابلة، تجب الكفارة على الرجل دينار، وعلى المرأة إن طاوعته.

(١) رواه أبو داوود: ٢٧٤/١ نيل الأوطار.

(٢) نيل الأوطار: ٢٧٦/١ برواية البخاري.

الطلاق

وهو من الطلاق البدعي إذا كان في الحيض لقوله تعالى: ﴿**إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ لعدتهن**﴾ أي في الوقت الذي تشرع فيه العدة وبدايتها تكون بعد الانتهاء، من الحيض، ولما روى أن ابن عمر طلق امرأته، فذكر عمر للنبي ذلك، فقال: «**مرة فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً، أو حاملاً**»[1].

الاستحاضة وأحكامها

هي سيلان الدم في غير أوقاته المعتادة من مرض أو فساد من عرق في أدنى الرحم يقال له العاذل، أحكام المستحاضة: هناك أمور ثلاثة بالنسبة للمستحاضة منها:

أولاً: لا يمنع شيء عن المستحاضة من مسّ القرآن وقراءة المصحف، ودخول المسجد والاعتكاف، ووطء بلا كراهة للضرورة.

ولقد جاءت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «**إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك عرق، وليس بحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فاتركي الصلاة فإذا ذهب قدرها (مدتها) فاغسلي عنك الدم وصلي**»[2].

---

(١) نيل الأرطار: ٢٢١/٦ برواية البخاري.

(٢) نيل الأوطار: ٢٦٨/١ برواية البخاري.

وروي أيضاً أن أم حبيبة زوجة عبد الرحمن بن عوف كانت تستحاض وكان زوجا يغشاها[1].

طهارة المستحاضة الوضوء والغسل

قال المالكية: يستحب أن تتوضأ المستحاضة لكل صلاة، وإذا انقطع الدّم يستحب لها الاغتسال من دمّ الاستحاضة.

وقال الجمهور: يجب أن تتوضأ المستحاضة لكل صلاة بعد أن تغسل فرجها أو تحشوه بقطن، لقوله صلى الله عليه وسلم لحمنّة: «**أنعت لك الكرسف، فإنه يذهب الدم**»[2]. فإذا خرج الدم بعد ذلك لم تبطل صلاتها. لقول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة: «**اجتنبي الصلاة أيام محيضك ثم اغتسلي وتوضئي لكل صلاة، ثم صلي، وإن قطر الدم على الحصير**»[3].

تقدير مدة حيض المستحاضة

إن المستحاضة يجب أن تعرف حدود دورتها لتطبق عليها أحكام الحيض وهذه المبادئ النبويّة في معرفة حدود الدورة.

١ - العمل بالتمييز بصفة الدم، فإذا كان متصفاً بالسواد فهو حيض فبذلك تستطيع التمييز بين دم الحيض ودمّ الاستحاضة.

---

(١) نيل الأوطار ١٠٣/١.

(٢) نيل الأوطار: ٢٧١/١.

(٣) نصب الراية: ١١٩/١ رواه الخمسة.

لقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: **«إذا كان دم الحيضة فإنه أسود يعرف فإذا كان كذلك، فأمسكي عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئي وصلّي فإنما هو عرق ينزف»**(١).

٢- بناء المعتادة على عادتها السابقة: لقوله صلى الله عليه وسلم: **«لكن دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها، ثم اغتسلي وصلي»**(٢).

٣- رجوع المستحاضة إلى الغالب من عادة النساء: وهي ست أو سبع لفقد العادة والتمييز لحديث حمنة: **«إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان»**(٣). كأنه أراد الإضرار بالمرأة والأذى في التلبيس عليها بأمر دينها.

وفي الحديث: **«فتحيض ستة أيام أو سبعة أيام في علم الله، ثم اغتسلي حتى إذا رأيت أنك قد طهرت واستنقيت، فصلي أربعاً وعشرين ليلة، أو ثلاثاً وعشرين وأيامها، وصومي، فإن ذلك مجزيك، وكذلك فافعلي في كل شهر، كما تحيض النساء وكما يطهرن لميقات حيضهن وطهرهن»**(٤).

---

(١) نيل الأوطار: ٢٧٠/١.

(٢) سبل السلام: ١٠٠/١.

(٣) سبل السلام: ١٠٢/١.

(٤) سبل السلام: ١٠٢/١.

المبحث الثالث

الغسل وصفته وموجباته، فرائضه

الغُسل بضم الغين، هو فعل الاغتسال، وهو سيلان الماء على الشيء مطلقاً.

والغُسل شرعاً: إفاضة الماء الطهور على جميع البدن على وجه مخصوص والأصل في مشروعيته: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]. وهو أمر بتطهير جميع البدن، إلا أن ما يتعذر إيصال الماء إليه كداخل العينين خارج عن الإرادة لما في غسلهما من الضرر والأذى.

والقصد منه التنظيف، وتجديد الحيوية وإثارة النشاط، لأن عملية الجنابة تؤثر في جميع أجزاء الجسد، وفي الغسل ثواب لامتثال أمر الشارع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شرط الإيمان**» أي جزء منه.

وركنه: عموم ما أمكن من الجسد من غير حرج، بالماء الطهور.

وحكمه: حلّ ما كان ممتنعاً قبله، والثواب بفعله، تقرباً إلى الله، ويجب الستر أثناءه لقوله صلى الله عليه وسلم: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، قال: أرأيت إن كان أحدنا خالياً؟ قال: الله أحقّ أن يستحيا منه من الناس**»[1].

---

(١) مستدرك الحاكم: ١٠٨/٤.

موجبات الغسل

يسمى ما يوجب الغسل حدثاً أكبر، وما يوجب الوضوء حدثاً أصغر، وموجبات الغسل على المكلف البالغ ذكراً كان أو أنثى سبعة أشياء.

١- خروج المني من فرج المرأة أو الرجل بدفق، في حال النوم أو اليقظة.

٢- الوطء ولو من غير إنزال لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل وإن لم ينزل**»(١).

٣- الحيض والنفاس. لما مرّ من الأحاديث معنا.

٤- الموت إذا كان غير شهيد. لقوله صلى الله عليه وسلم: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبين**»(٢).

٥- إسلام الكافر ولو كان مرتداً أو مميزاً لحديث قيس بن عاصم: «**أنه أسلم فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يغتسل بماء وسدر**»(٣).

فرائض الغسل

١- بتعميم الجسد شعره وبشره بالماء الطهور، ويُكتفي ببلّ أصل الضفيرة دفعاً للحرج وتنقض الضفيرة، إذا كان السبب حيضاً لا جنابة وإذا كانت الضفيرة سميكة لا ينفذ إليها الماء، نقضته.

---

(١) البخاري بحاشية السندي: ١/٦٢.

(٢) سبل السلام: ١/٩٢.

(٣) نيل الأوطار: ١/٢٢٤.

٢- غسل بشرة الرأس، سواء كان الشعر خفيفاً أم كثيفاً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء: «**تأخذ إحداكن ماء فتطهر، فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها، فتدلكه، حتى تبلغ شؤون رأسها، ثم تفيض عليها الماء**»(١).

٣- المضمضة والاستنشاق: وهي واجبة في الغسل لا الوضوء.

٤- النية عند غسل أول جزء من البدن.

٥- الدلك والموالاة ويكفي الدلك بظهر الكفّ وبالساعد والعضد، فإن تعذر الدلك، سقط، ويكفي لتعميم الجسد بالماء كما في سائر الفرائض.

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي: ٦٦/١.

المبحث الرابع

حجاب المراهقة

المراهقة إذا بلغت مبلغ النساء، وجب تغطيتها بالخمار، في الصلاة وفي غير الصلاة إذا خرجت، وقد بحثنا عورتها على محارمها الرجال.

والدليل على وجوب ستر العورة مطلقاً: قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] والمراد به الثياب في الصلاة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار**»(١). والخمار ما يغطى به رأس المرأة، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، فأشار إلى وجهه وكفيه**»(٢).

شروط الساتر

١- أن يكون كثيفاً، فالواجب الستر بما يستر لون البشرة، ولا يصفها من ثوب أو جلد أو ورق، فإن كان الثوب خفيفاً يصف ما تحته، أو يتبين لون الجلد من ورائه، فإن علم بياضه أو حمرته لم تجز الصلاة به، لأن الستر لا يحصل بذلك، وإن كان يستر لونها ويصف الخلقة أو الحجم، جازت الصلاة به لأن هذا مما لا يمكن التحرز منه.

---

(١) نيل الأوطار: ٦٢/٢.

(٢) نصب الراية: ٢٩٩/١.

وستر العورة واجب ولو استعار ثوباً.

وإن اجتمع نسوة استحبت لهن الجماعة ووقفت المرأة الإمام وسطهن.

ولباس المرأة له حكمان.

في حال الصلاة:

وفي حال الخروج:

- أما في حال الصلاة: فتغطي المرأة جميع بدنها حتى شعرها النازل في الأصح ما عدا الوجه والكفين، والقدمين ظاهرها وباطنهما، على المعتمد لعموم الضرورة وكذلك صوتها ليس بعورة على الراجح، إلا إذا قامت بتمطيطه وتليينه فيصبح عورة، وظهر الكفّ عورة، لكن الأصح أن ظاهر الكف وباطنها ليس بعورة لحديث أسماء السابق.

- القدمان ليسا بعورة في الصلاة على الصحيح، أما في حق النظر والمسّ فهما عورة لقوله تعالى: ﴿**ولا يبدين زينتهن**﴾، [النور: ٣١]

والمراد بـ ﴿**إلا ما ظهر منها**﴾ الوجه والكفان: ودليلنا حديث ابن عباس: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[١].

وتُمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، أي الفجور بها، والمعنى أنها تمتنع من الكشف خوفاً أن يرى وجهها فتقع الفتنة، لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة.

---

(١) نصب الراية: ٢٩٨/١.

ولا يجوز النظر إلى وجه المرأة والفتى الأمرد بشهوة إلا لقاضي أو شاهد وخاطب يريد زواجها.

- أما خارج الصلاة فيجب ستر جميع بدنها مع قدميها ما عدا الوجه والكفان، فهما ليسا بعورة إلا إذا خيفت الفتنة وجب ستر الوجه والكفين.

أما الشافعية: فقالوا بتغطية القدمين في الصلاة، ودليلهم حديث أم سلمة قالت: «**قلت: يا رسول الله أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ قال: نعم: إذا كان سابغاً يغطي ظهر قدميها**»[1].

وهذا دليل على وجوب تغطية القدمين، لأنه محل لا يجب كشفه في الإحرام فلم يجز كشفه في الصلاة.

وستر المرأة الواجب هو صلاها في درع أي قميص سابغ يغطي قدميها، وخمار يغطي رأسها وعنقها، وجلباب تلتحف به من فوق الدرع.

أما حكم انكشاف شيء من عورة المرأة غير الوجه والكفين في الصلاة فيفرق فيه بين اليسير الكثير، فما كان يسيراً عُفي عنه لحكم الرِجل. وما كان كثيراً لم يعفَ عنه.

وجميع بدن المرأة حتى الوجه والكفين خارج الصلاة عند الشافعية عورة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المرأة عورة**»[2].

---

(١) رواه أبو داود موقوفاً على أم سلمة.

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي في السنن، وتكملته: ((**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**)) وهي من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

والتنغيم بصوت المرأة ولو بقراءة القرآن عورة بسبب خوف الفتنة أما خارج التطريب والتنغيم فليس بعورة لأن الصحابة كانوا يستمعون إلى نساء النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفة أحكام الدين.

وبعد عزيزتي وابنتي المراهقة: هذه أحكام المراهقة في الإسلام أردت أن أجمع لها النواحي النفسية والعلاجات الأخلاقية والاجتماعية والفقهية الإسلامية، أرجو أن أكون قد أوضحت هذه المعالم ويسرتها لك بشكل يسهل عليك فهمه والأخذ به.

وإسلامك يا ابنتي المراهقة لم يترك شيئاً إلا واعتنى به، وأعطاه الحلول الصحيحة. فلا حاجة بك لتأخذي من غير منهله وتسألي حلولاً من غير دينك ففيه فلاح أمرك.

أرجو من الله أن أكون قد وفيت، وأن هذا الكتاب يجد، صدوراً مفتوحة وأذاناً صاغية وعقولاً واعية. وأسأله تعالى أن يجعله في صحيفة أعمالي يوم أن ألقاه، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نشوة العلوان

٢٠٠٠/٥/٧

المصادر والمراجع

تفسير القرآن الكريم وعلومه

- القرآن الكريم
- تفسير الطبري، جامع البيان، محمد بن جرير، دار الفكر، دمشق.
- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصـــاري القرطبي. دار الفكر. دمشق.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة.

الحديث الشريف وعلومه

- الدرر المنثورة في الأحاديث ، جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت.
- الترغيب الترهيب، عبد العظيم المنذري، دار ابن كثير، دمشق.
- تلخيص الحبير، أحمد ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
- سبل السلام، محمد بن اسمعايل اليمني الصنعاني: دار الكتاب العربي، بيروت.

- حاشية السندي على صحيح البخاري.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار العلوم الإنسانية، دمشق.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سنن البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دار المعرفة، بيروت.

- سنن البغوي، شرح السنة، الإمام البغوي، الكتب الإسلامي، بيروت.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سودة، دار الحديث القاهرة.

- سنن النسائي، أحمد بن علي، تصوير دار الكتب، بيروت.

- سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المكتبة العصرية، بيروت.

- كشف الخفا، إسماعيل بن محمد الجراحي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- كنز العمال، حسام الدين الهندي، التراث الإسلامي، بيروت.

- فتح الباري على صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

- فتح القدير، عبد الرؤوف المنادي، دار المعرفة، بيروت.

- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.

- مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة بيروت.

- معجم الطبراني الكبير، سليمان بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- مجمع الزوائد، علي بن بكر الهيثمي، دار الفكر، دمشق.
- نصب الراية، جمال الدين الزيلعي، دار الحديث القاهرة.
- نيل الأوطار، محمد بن عيل الشوكاني، دار الكلم الطيب، بيروت.

الكتب الإسلامية:

- الأدب المفرد، الإمام البخاري، المكتبة السلفية، بيروت.
- إتحاف السادة المتقين، محمد الحسيني الزبيدي، دار الفكر، بيروت.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، دار الفكر.
- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
- عيون الأثر في السيرة النبوية، ابن سيدّ الناس، محمد بن عباس بن يحيى.
- الحب والجنس من منظور إسلامي، محمد علي قطب، بيروت.
- أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي.
- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المشكلات السلوكية عند الأطفال، نبيه الغبرة.
- تربية البنات في الإسلام، محمد علي قطب، بيروت.
- المرة في الإسلام، محمد حسين الطباطباني.
- المراهق، د. نوري الحافظ.
- موسوعة عمر بن الخطاب، محمد رواس القلعجي، دار النفائس، بيروت.

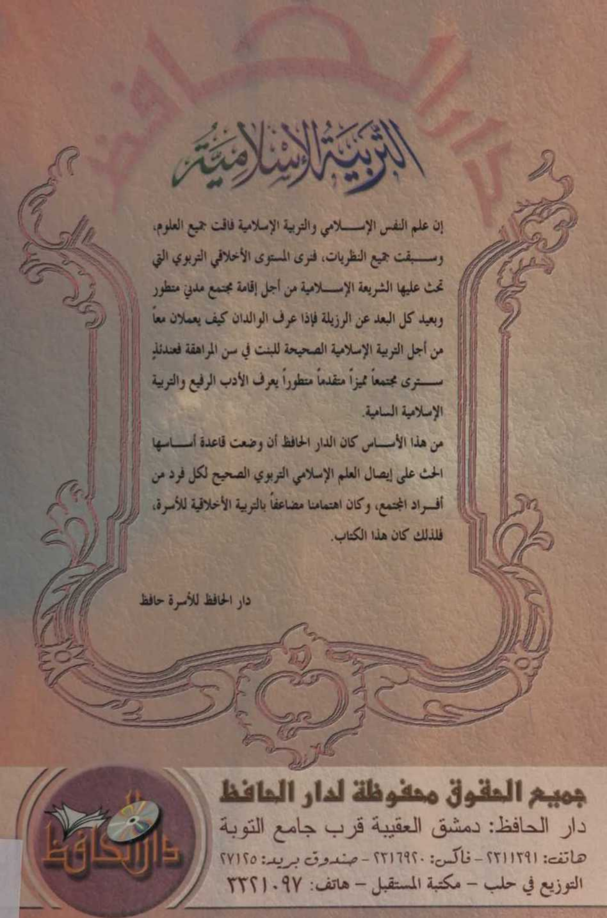
جدول المحتويات

إصدارات للمؤلفة في دار الحافظ

١ـ الزوجات في بيت النبوة

٢ـ قضايا الطفلة المسلمة

٣ـ قضايا المراهقة المسلمة



التربية الإسلامية

إن علم النفس الإسلامي والتربية الإسلامية فاقت جميع العلوم، وسبقت جميع النظريات، فنرى المستوى الأخلاقي التربوي التي تحث عليها الشريعة الإسلامية من أجل إقامة مجتمع مدني متطور وبعيد كل البعد عن الرزيلة فإذا عرف الوالدان كيف يعملان معاً من أجل التربية الإسلامية الصحيحة للبنت في سن المراهقة فعندئذٍ سترى مجتمعاً مميزاً متقدماً متطوراً يعرف الأدب الرفيع والتربية الإسلامية السامية.

من هذا الأساس كان الدار الحافظ أن وضعت قاعدة أساسها الحث على إيصال العلم الإسلامي التربوي الصحيح لكل فرد من أفراد المجتمع، وكان اهتمامنا مضاعفاً بالتربية الأخلاقية للأسرة، فلذلك كان هذا الكتاب.

دار الحافظ للأسرة حافظ

دار الحافظ: دمشق العقيبة قرب جامع التوبة
هاتف: ٢٣١١٣٩١ - فاكس: ٢٣١٦٩٢٠ - صندوق بريد: ٢٧١٢٥
التوزيع في حلب - مكتبة المستقبل - هاتف: ٣٣٢١٠٩٧